فكر ومنهج

دراسة تحليلية حول فكر ومنهج مدرسة

الشيخ أحمد الإحسائي

تأليف

الشيخ عبد الجليل الأمير

في ذكرى مئوية الشيخ أحمد الإحسائي

منشورات

دار الفنون للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

فكر ومنهج

دار الفنون

فكر ومنهج

فكر ومنهج

دراسة تحليلية حول فكر ومنهج مدرسة

الشيخ أحمد الإحسائي

تأليف

الشيخ عبد الجليل الأمير

موقع الأوحد
Awhad.com

دار الفنون
بيروت - لبنان

جَمِيع الحُقوق محْفوظَة

الطبعَة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع

بَيروت - الشيَاح - سُوق معَوض التجَاري - تلفون : ٨٣٥٣٢٧
تلكس : ٢٠٧٧٧ - فاكس : ٣٥٧٠٤٦-٢٥٨٤٨.. - ص.ب: ٢٥/١٥٤ الغبيري

الإهداء

أهدي هذا الكتاب ـ وأنا بكل حياء وتقصير ـ إلى مظهر الولاية الربانية ، وصاحب الدولة المحمدية الإمام الحجة بن الحسنْ عجل الله فرجه أرواحنا له الفداء .

وإلى والدي الروحي آية الله المرجع الديني الإمام المُصلح الميرزا حسن الحائري الإحقاقي دامت توفيقاته وطيل في عمره .

وإلى كافة إخـواني المؤمنين والمؤمنات الّـذين يسمعون الكـلام فيتبعون أحسنه .

والسلام . . .

المقدمـــة

له الحمد على ما أجزل وله الشكر على ما أنعم . من نعم يعجز اللسان عن احصائها والعقول عن ادراكها . وأصلي وأسلم على نبيه وصفيه محمد بن عبدالله الذي بعثه الله تعالى كافة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً . فإقامه مقامه في سائر عالمه ، إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثله غوامض الظنون والأسرار ، وأسلم على آله الميامين وخلفائه الطيبين الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . واللّعن الدائم والظلام الآثم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين .

وبعد . . .

عزيزي القارىء هذا الكتاب الذي بين يديك هو عبارة عن دراسة تحليلية عن فكر ومنهج الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي المتوفي سنة ١٢٤١هـ .

فاني قد بينت المنهج الذي سلكه الشيخ وتابعوه ، معتمداً في ذلك بسوق بعض النصوص من كتبه ـ والتي ولا تزال إلى الآن بالخط الحجري القديم ـ مع بيان منهج بعض الفلاسفة والحكماء الّذين قبله مستدلاً عن ذلك بكلامهم . ولكني مشيراً إلى أسمائهم (ببعض) لحاجة في نفسي .

وبعد ذلك اقتطفت من كتبه بعض آرائه الناجع التي خالف بها حكماء القوم بطرح الأدلة من الطرفين. لكن بشكل وطريقه مبسطة سهلة يفهمها العالم وغيره .

وبعدئذٍ ذكرت أهم أعلام هذه المدرسة الّذين يتبنون آرائه وأطروحاته الفلسفية والعرفانية . وذكرت البابية والبهائية وأثبت انهما بمعزل عن فكر الشيخ وتابعيه . وأما الذي نسبهما إليه وإلى تلامذته فقصده التمويه والتضليل لفكر الشيخ وتابعيه .

وختمت البحث بدعوة إلى الوحدة والتكاتف . بأننا أخوة جميعاً .

وأما الذي دعاني إلى كتابة هذا البحث هي الملابسات والشبهات الموجَّهة إلى الشيخ حتى ذاع عند بعض الناس بأن الشيخ رجل صوفي مغالي في أهل البيت عليهم السلام لأنه يتبنى آراء خاطئة وعقائد فاسدة .

وهذه الدعوى خلاف ما قرأناه وتفقهناه من كتب الشيخ وكتب تلامذته بل وجدناها على الطريقة الحقّة والمنهج المستقيم . وما تلك الملابسات والشبهات التي عند البعض إلاّ لعدم أنسهم بآرائه المبتكرة وأسلوبه الجديد بالنسبة إلى غيره من الفلاسفة السابقين له .

حتى أنه ذات يوم من الأيام أثناء كتابتي لهذا البحث فُوجئت بكتاب من الكتب الفكرية . فعندما تصفحته وقع نظري على موضوع بعنوان « الكشفية » ، وقلت في نفسي ما يعني هذا الكاتب بهذا العنوان . فأخذت الكتاب من موضعه وجلست أتطلع إلى هذا الموضوع ، وإذا اصطدم بكلام قبيح شنيع مختلق ، فأول ما بدأ بموضوع الكشفية قال : « كان السيد كاظم الرشتي من الجواسيس القدامى لروسيا القيصرية »[1] فاندهشت من هذه المقولة الكاذبة كيف طوَّعت له نفسه الجرح في هذا السيد الجليل السيد كاظم الرشتي أعلا الله مقامه . والذي أزيد من ذا وذاك انه ينقل نصاً مختلقاً من بعض كتب السيد كاظم الرشتي ويجعل علامة تنصيص هكذا [«] بأن هذا الكلام من كتاب دليل المتحيرين

(١) حريتنا ـ الميرزا محسن آل عصفور ط أمير ـ قم : ص٢٨٨ .

للسيد . والحال أنه لا توجد كلمة موجودة في هذا الكتاب ، اللهم إلاّ أنـه قد جمَّع كلمة أو كلمتين من كتاب دليل المتحيرين وباقي الكلام كله كذب وافتراء قال : « فقال [يعني السيد كاظم] في كتابه دليل المتحيرين :

« لقد انكشف لي ملكوت السموات والأرض !! ومشاهدة الأيام وملاحظة الأسماء والصفات بأنحاء التجليات في نقطة البدء وإن الأكوان كلها مجتمعة في البسملة وكل ما في البسملة في بائها وكل ما في باء البسملة مجتمعة في نقطة الباء وأنا نقطة الباء . وعليه فمن لم تكن في قلبه محبة الركن الرابع ونقطة الباء لا تنفعه حسنة وإن صام الدهر وقام ليالي عمره وأفنى حياته في العبادة وفعل الخير وإنّ المسلمين اليوم كلهم كفّار وعبّاد أوثان فالصوفية نحتوا الأقطاب وعبدوا المرشدين ، والشيعة الإمامية عبدوا المجتهدين إلاّ الكشفية أصحابي فانهم عبدوا الله الواحد الذي يتجلى في صور مختلفة وإن الله قد كشف عنا غطاء الجهل والبصيرة . فالكشفية هم الذين كشفت عن أبصارهم الغشاوة وعن قلوبهم الشكوك »[٢] وبعد ذلك يتجرأ على الله تعالى ويؤذي المؤمنين والله سبحانه نهى عن أذية المؤمنين بقوله : ﴿**والّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ بقوله : « انتهى كلامه زيد في دركات الجحيم مقامه »[٣] .

عزيزي القارىء أمعن النظر مرة تلو الأخرى واحكم أنت . فأين كلام السيد عن كلام هذا الكاتب ؟ فهل تجد كلمة واحدة صدرت من السيد مطابقة لكلام هذا الكاتب ؟ كلا وألف كلاّ . فلعمري ان كلام هذا الكاتب في حق هذا السيد المظلوم لم يُقل حتى في حق اليهود والنصارى وغيرهم ، فكيف يجوز أن يقوله أو يتفوه به السيد . فلما كان كلامه كله كذب وافتراء لم يبن الصفحة ولا الطبعة . وما نقول إلا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ونعم ما قيل:

---

(٢) نفس المصدر : ص٢٩٠ .

(٣) نفس المصدر .

الى ديان يوم الدين نمضي . وعند الله تجتمع الخصوم

والكلمة التي قالها السيد ما نصها « وهم الذين كشف عن أبصارهم الغشاوة وعن قلوبهم الزيغ والغباوة ، وهم الذين كشفت عن قلوبهم ظلمة الشكوك والشبهات . . . »[٤] .

فالسيد أعلا الله مقامه لم يكن قصده أن ينسب الكشف أو الكشفية إليه ولا إلى أحد تلامذة الشيخ أحمد ، بل قصده بيان معنى الكشف كإصطلاح موجود عند بعض الإشراقيين وغيرهم لا غير ذلك . لذا فالسيد بعد أسطر من هذا الكتاب قد أبان أن هذه الكلمة أعني (الكشفية) انما نسبت إلى هؤلاء المتبعين للشيخ أحمد الأحسائي بقصد الفتنة والتشهير عليهم والاستهزاء بهم كما استهزىء وشهّر على الشيعة بأنهم روافض قال : « وقد شهر هذا الاسم على هؤلاء الكرام [يعني أتباع الشيخ أحمد] أعداؤهم ومخالفوهم ، كما شهر اسم الروافض العامة لهذه الفرقة ، مع أنه اسم سماهم الله سبحانه به في عالم الذر ، ويستعمل في الذين تركوا الباطل ورفضوه من سائر الملل ، وكذلك اسم الكشفية فإنه أيضاً في الحقيقة لهم ، ومن حذا حذوهم ، وسلك سلكهم ممن تقدم عليهم ، ولكن مقابليهم خصّوه بهم مأولين إياه على تأويل قبيح بعيد مع أنهم يقولون انه قد كشف الغطاء عن قلوبهم ، فيرون العلوم والأحكام ولا يحتاجون إلى نبي ووصي (ص) ولا إلى ولي ولا إلى عالم حاشاهم حاشاهم »[٥] .

فبعد قراءتي لهذا الكتاب ولمقال صدر في مجلة الموسم بعدد التاسع والعاشر من بعض الفضلاء سامحهم الله . كيف هذا الكاتب ضلّل فكر الشيخ أحمد وتابعيه ، حتى أنه قال في مقاله : « وأخيراً ، وبعد الذي رأينا

---

(٤) دليل المتحيرين للسيد كاظم الرشتي ص١٠ . ط الثانية منشورات مكتبة الامام جعفر الصادق (ع) .

(٥) دليل المتحيرين للسيد كاظم الرشتي ص١٠ . ط الثانية منشورات مكتبة الامام جعفر الصادق (ع) .

وعرفناه لا يعدو ان يكون التمسك بها [أي طريقة الشيخ] بعد ظهور ما فيها من مفارقات تبتعد بها عن واقع الفكر الإمامي إلى حضيرة الفكر الإسماعيلي والإعتقاد الصوفي كفكرتي (الناطق) و (الكشف) اللّتين هما عماد الفكر الإسماعيلي الصوفي السنّي ، لا يعدو أن يكون نوعاً من التعصب على غير أساس »[٤] .

وليت هذا الكاتب اعتمد في مقاله على نص موثوق يدعم دعواه ويلجم الخصم بل اعتمد في استدلاله على القيل والقال من دون تفحص كتب الشيخ وأتباعه فعلى كثرة نقده لم يذكر نصاً من كتاب من كتب الشيخ ولا مقالاً له فهو يسرد القضايا سرداً ، وكأنها مسلم بها وهذا خلاف ديدن النقاد المنصفين .

وبعد ما تلوت عليك ـ عزيزي القارىء ـ من مغالطات وشبهات موجّه إلى هذا الرجل ومن تبعه . لم أجد بداً إلاّ ان أظهر ما في نفسي . وأدافع عن هذا الرجل ومن تبعه بحق ، بأن أكشف شمس الحقيقة وأرفع راية المظلوم مهما كلّف الثمن . لان الساكت عن الحق شيطان أخرس .

هذا والسلام على من اتبع الهدى .

عبد الجليل الأمير

---

(٤) مجلة الموسم العدد التاسع والعاشر : ص١٧١ .

تطلعات حول شيخ المتألهين

نسبـــه :

هو الفذّ الأوحـدي ، والعالم الألمعي ، والصـرح اللّوذعي ، ذو الشرف الشامخ والمقام الباذخ والقدم الراسخ في علوم آل الرسول عليهم السلام . وليد التقـوى والأخلاق وحليف المسجـد والمحراب . الشيـخ الأجل والعلم الأشم فضيلة الشيخ أحمد بن الشيـخ زين الدين بن إبـراهيم بن صقر بن إبـراهيم بن داغر بن راشد بن وهيم بن شمروخ آل صقر[1] .

تولـــده ونشـــأته :

تولد في الإحساء ـ شرق الجزيرة العـربية ـ في قـرية تـدعى بالمطيـرفي سنة ١١٦٦هـ نشأ وترعرع في ربوع واحة الإحساء على يدي والـديه ، متسماً بسمات الصالحين ومقتدياً بورثة النبيين محمـد وآله الـطيبين الطاهـرين عليهم أفضل صلاة المصلين .

---

(١) من أراد الإطلاع إلى حياة الشيخ أحمد الإحسائي بالتفصيل فعليه بمراجعة كتـاب دليل المتحيرين لأكابر تلامذته السيد كاظم الرشتي أعلا الله مقامه فأنه أبان وفصّل ودافـع ما استطاع المتوفي سنة ١٢٥٩هـ .

فالحديث عن الشيخ أحمد الإحسائي ، في الحقيقة هو حديث عن الشريحة النموذجية المطبقة للكتاب والسنّة في تصرفاتها وسلوكها العلمي والعملي ، والممتثلة دعوة النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً » .

فحياة الشيخ أحمد الإحسائي تنقسم إلى دورين مهمين : دور الرياضات المشروعة والمجاهدات النفسانية المنصوصة من الشارع المقدس ، من التخلق بأخلاق آل الله تعالى والنظر والتفكر في الآفاق والأنفس . والدور الثاني دور التبليغ والعطاء والتغيير من أفكار خاطئة ، وعقائد فاسدة عند بعض الفلاسفة والحكماء .

الدور الأول :

الشيخ أحمد الإحسائي ـ أعلا الله مقامه ـ حينما بلغ مبلغ التمييز والإدراك تولّع بالنظر والتفكر في الآفاق والأنفس مطبقاً قوله تعالى : ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ .

وسالكاً درب ربه ذللاً كما قال تعالى : ﴿**واسلكي سبل ربك ذللاً**﴾ .

فعلى حداثة سنّه ونعومة أظفاره انهمك بالفكر والذكر والعبادة والتلاوة لكتاب الله التكويني بالنظر والتفكر وللكتاب التدويني بالعبر والتدبر . حتى أنه اعتزل عن الخلق وتوجه إلى معطي خيرات الدنيا والآخرة . فما لبث فترة إلاّ وبان الضعف في بدنه لكثرة العبادة وقلة أكل الطعام والشراب كل ذلك مؤملاً أن يصل إلى معرفة النفس التي من عرفها فقد عرف الرب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »[٢] .

فلم يزل على هذه الحالة من الفكر والذكر في التفكر للكتاب التكويني والتدبر للكتاب التدويني ، حتى ما صار محط محبة الحق تعالى كما ورد في

---

(٢) غرر الحكم .

الحديث القدسي المروي عن النبي صلى الله عليه وآله : « ولا يزال عبدي يتنفل إليَّ حتى أحبه ، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ، إذا دعاني أجبته وإن سألني أعطيته . . . »[٣] .

فإذا أحب الحق تعالى عبداً هداه إلى سبيله ، واختار له أفضل الطرق إلى معرفته ، وقذف في قلبه العلم النور الذي يعلم به أكثر المعلومات كما قال الإمام الصادق عليه السلام : « ليس العلم بالتعلم ، وانما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه »[٤] .

وقال تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ وقال أيضاً : ﴿فلما بلغ أشده واستوى آتيناه علماً وحكماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ .

فمعنى وكذلك أي ومثل ذلك لمن سلك سبل الرب ذللاً . فالذي يسلك سبل الرب ذللاً يخرج الله تعالى من بطنه شراباً من العلم مختلفاً ألوانه من أنواع العلوم بشتى أصناف الجهالات العقائدية ، والشرعية والأخلاقية وغيرها .

فالذي يروّض نفسه بالرياضة المشروعة من الشارع المقدس . الله تعالى يلهمه ويعلمه العلم من دون تعلم من البشر . وهذا مصداق حديث المعراج حيث قال الحق تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وآله : « يا أحمد ! إن العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة ، وإن كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً ، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمةً ، فيعلم ما لم يكن يعلم ، ويبصر ما لم يكن يبصرُ ، فأول ما أبصّره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره ، وأبصّره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان »[٥] .

فالشيخ أحمد الإحسائي هو من الّذين نهجوا هذا المنهج واتبعوا هذا الدرب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لذا

---

(٣) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية . للحرّ العاملي . ط دار الهادي : ص١٥٦ .
(٤) البحار : ج١ ص٢٢٤ .
(٥) البحار : ج٧٧ ص٢٩ .

قال الشيخ عينه عن نفسه حينما طلب منه ابنه الأجل الأكبر الشيخ محمد تقي . ان يكتب سيرة حياته ، منذ الصغر ، وعن علة مبلغه هذا المبلغ العظيم عن العلم والمعرفة فأجابه والده وقال : « إعلم أني كنت في أول عمري كثير التدبر والنظر في العالم ، وكان قلبي مشغولاً [متخلقاً][٦] بأشياء لا أعرف حقيقتها ، فرأيت ذات ليلة في الطيف الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر عليهم السلام . وكان بيننا أحوال ومخاطبات عجيبة طويلة ، فقلت له : يا سيدي أخبرني بشيء إذا قرأته رأيتكم فقال لي عليه السلام شعراً :

كن عن أمورك معرضا ... وكل الأمور إلى القضا
فلربما اتسع المضيق ... ولربما ضاق الفضا
ولرب أمر متعب ... لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا
الله عوّدك الجميل ... فقس على ما قد مضى

ثم قل :

رب أمر ضاقت النفس به ... جاءها من قبل الله فرج
لا تكن من وجه روح آئسا ... ربما قد فُرجّت تلك الرُّتج
بينما المرء كئيب دنف ... جاءه الله بروح وفرج

فانتبهت فبقيت أقرأ ذلك ولا أرى شيئاً ، حتى أني تنبهت بأنه لا يريد مجرد قراءته ، وإنما يريد أن أتخلق بمعنى ذلك . فتوجهت إلى اصلاح النية والعمل والإنقطاع بالقلب إلى الله وإلى ما يرضيه لا غير ، لم يكن لي مقصود غير رضى الله ، فلما استمر بي الحال على هذه الطريق ، انفتح لي باب المنام بأنواع العجائب فلا تمر بي مسألة في اليقظة إلاّ ورأيتها بيانها في المنام ، وكل حين ذكرت الأئمة عليهم السلام في الطيف رأيتهم ، فان ذكرت واحداً معيناً

---

(٦) في نسخة (متخلق] .

رأيتـه ، وإن ذكرتهم مـطلقاً كـان لي الخيار فيمن أريـد أن آراه ، وهكذا حتى وقفت على باب مأخذ أدعية أهـل البيت عليهم السلام من القـرآن ، وسمعت الخطاب من بعض الجمادات ، ولقد ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال : « ما من عبد حبنا [أحبنا][7] وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسئل مسألة إلاّ ونفثنا في روحه جواباً لتلك المسألة » اهـ .

ولقد فُتِح لي أشياءٌ ماأعرف أصفها للناس . وكل ذلك من التخلق بمعنى تلك الأبيات المتقدمة . فأنت وفقك الله . إذا أردت شيئاً فـاقبل على الله على النحو الذي أمر به الشـارع (ع) وتفهم قول الله تعـالى : ﴿اذكروني أذكـركم﴾ وقوله تعالى : ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ والسلام عليكم ورحمة الله وبـركاتـه وكتب أحمد بن زين الدين »[8] اهـ .

الـــدور الثانـــي :

ان الشيخ أحمد عليـه الرحمـة لما بَلُغَ أشـده واستوى وسلك سبـل ربه ذللاً . قد أفاض عليه الحق تعـالى من رشحات جـوده وكرمـه ما لا يـوصف . وأخرج من بطنه شراباً مختلفاً ألوانه من العلوم بشتى أمراض الجهل من أصناف العلوم والرسوم . هاك مصنفاته فانها شاهدة على ذلك كما قال الشاعر :

من ادعى مـــا ليس فيـــه كذَّبته شواهد الإمتحـان

لـذا قـد كتب في أغلب العلوم العلميـة والأدبيـة والفلكيـة والجغـرافيـة والتاريخية والعرفانية والفلسفية والكلامية .

وكتب أيضـاً في علم الحروف والـطلاسم والأوفاق وأيضـاً برع في علم الإكسير وكتب في علم الفقه والأصول[9] .

---

(٧) في نسخة أخرى .

(٨) سيرة حياته بخط يده الشريفة .

(٩) من أراد أن يطلّع على مصنّفات الشيخ أحمد الإحسائي فعليه بمـراجعة كتـاب فهرست تصانيف الشيخ أحمد الإحسائي بتحقيق واخراج المؤمن المجاهد فضيلة الأستاذ الشيخ

حتى أنه في كل علم قد أدلى دلوه وأبدى رأيه فيه . فناقش وفنّد وصحح في بعض الآراء وخطّىء الآخر . فذهلت العقول من عبقريته الفذّة وآرائه القوية ، وتحليله الرشيق وأسلوبه الأنيق ، فهو كما قال الشاعر :

لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

وبعد حقبة من الزمن . ذاعت جهابذة الفكر ، وأعمدة الدين ، وقدوة الأمم ، بالإشادة بفضله ، وعلو مقامه ، وجليل منزلته ، لمَّا رأوا منه من مطالب لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق بعده إلى الآن .

فأجازوه ، وأعظموه ، بإجازات تدل على شامخ علمه ، وثبات جنانه وزهده وتقواه وورعه حتى عُرف بذلك .

فمنهم العالم الفاضل الشيخ أحمد الدمستاني . والمولى الكامل الميرزا مهدي الشهرستاني . والعالم العامل السيد السند علي الطباطبائي صاحب كتاب « الرياض » المشهور .

ومنهم البحر الطمطام والقائد المقدام السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم والشيخ الجليل والعالم النبيل الشيخ جعفر النجفي صاحب « كشف الغطاء » رضوان الله عليهم وأعلى مقامهم وأعزّبهم الإسلام والمسلمين .

حتى انه قال العالم المحقق والشيخ المدقق المحدث الكبير الشيخ حسين آل عصفور عليه الرحمة في إجازته للشيخ الأوحد : « التمس مني . . من له القدم الراسخ في علوم آل بيت محمد الأعلام ومن كان حريصاً على التعلق بأذيال آثارهم « عليهم الصلاة والسلام » ان أكتب له اجازة كما هي الطريقة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع والأعوام . لحصول التبرك بطرق التحمل المغروسة في قلوب العلماء حدائق التثبت المروية برواشح افاضاتهم على الإستمرار والدوام .

وهو العالم الأمجد ذو المقام الأنجد الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي . ذلّل الله له شوامس المعاني وشيد به قصور تلك المباني وهو في

الحقيقة حقيق بأن يجيز لا يجاز ، لعراقته في العلوم الإلٰهية على الحقيقة لا المجاز ، ولسلوكه طريق أهل السلوك ، وأوضح المجاز »[١٠] .

لذا طفح من قلمه الشريف من علوم آل محمد عليهم السلام ما حير الألباب لانه نهج نهجهم واتبع طريقتهم سلام الله عليهم لا غير ذلك كما أنه قد أبان هذا المنهج الذي نهجه بقوله : « قلت : لم يذكر أكثرها في كتاب ولم يجر ذكرها في خطاب . أقول : لم يذكر أكثرها في كتاب يعني أنه قد ذُكر بعض منها إلّا أنه ليس على هذا النحو من البيان أو يذكر مجملاً مثل ما يأتي في ذكر الحصص الحيوانية في الإنسان والفرس والطير ، فانهم يذكرون أنها من حقيقة واحدة هي الحيوانية ، وانها متساوية ، وانما يميزها الفصول وأنا قد ذكرتها على نحو ما عثر عليه الحكماء ولا وقف عليه العلماء ، لانهم يأخذون تحقيقات علومهم بعض عن بعض وإنّا لما لم أسلك طريقهم وأخذت تحقيقات ماعلمت عن أئمة الهدى عليهم السلام . لم يتطرق على كلماتي الخطأ . لأني ما أثبت في كتبي فهو عنهم ، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ والغفلة والزلل ومن أخذ عنهم لا يخطىء من حيث هو تابع ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿**سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين**﴾ . وقولي لم يجز ذكرها في خطاب يعني أنه لم يذكر في الأحاديث إلّا بالإشارة والتلويح لأهله وعلى الله قصد السبيل »[١١] .

ونعم ما قيل فيهم عليهم السلام :

إليكم وإلّا لا تشد الركائب ... ومنكم وإلّا لا تنال الرغائب
وفيكم وإلّا فالحديث مخلّق ... وعنكم وإلّا فالمحدث كاذب

واما غير الشيخ أحمد من الفلاسفة . فان ثلة منهم اتبعوا حكماء اليونان

رياض طاهر ، منشورات مكتبة العلّامة الحائري العامة . كربلاء . تصل مؤلفاته « رحمه » إلى ١٠٤ مصنف .

(١٠) إجازات الشيخ أحمد الإحسائي . ط بغداد : ص٤٣ . تحقيق الدكتور حسين علي محفوظ قد ذكر جميع إجازات الشيخ أحمد الإحسائي فيه .

(١١) شرح الفوائد للشيخ أحمد الإحسائي : ص٤ ط حجرية .

كأفلاطون وأرسطو وبقراط في بعض آرائهم الفلسفية على ما هي عليه من الخطأ بدون عرضها على الكتاب والسنّة بل أخذوها أخذ تسليم . وذلك كأخذهم مقولة وحدة الوجود[١٢] منهم ، والتناسخ ، وصدور الماهيات من الذات ، والواحد لا يصدر منه إلّا واحد وعلى ذلك رتبوا العقول العشرة وغير ذلك .

ولما كان الشيخ أعلا الله مقامه متبعاً لأهل البيت في كل ما يقوله لم يتطرأ إليه الخطأ لذا قال إني لا أخطىء لاني أتبع من لا يخطئون .

أهم أطروحاته الفلسفية والعرفانية

من أهم أطروحات الشيخ أحمد انه قد اهتم بتنزيه التوحيد الحق عن بعض الشبهات الموجه من بعض الفلاسفة .

فأكّد الشيخ أحمد على انه يجب ان يكون أمر التوحيد من وحي يوحى ، بحيث لا يتطرق إليه الخطأ والزلل ولا قيد شعرة .

فقد يرد هنا وهو ان إثبات التوحيد أمر عقلي لا شرعي . فعلى ذلك يكون الإستدلال من التوحيد بالعقل وحده .

نقول نعم . إن إثبات التوحيد منوط على العقل . ولكن بحدود على ان العقل يثبت وجود صانع مدبر لهذا الكون ، وأما خصوصيات ذلك الصانع وصفاته وما ينبغي وما لا ينبغي فنحن لا نسلم على أن العقل يثبت كل ذلك لانه يصيب ويخطىء . وعلى إفتراض إن العقل يثبت كل ذلك . يلزم العبث وتحصيل الحاصل من بعثة الأنبياء والرسل في ارشاد وتعليم الخلق بأسماء الله تعالى وصفاته ومعرفته .

---

(١٢) المراد من وحدة الوجود عند بعض الفلاسفة هي تعني أنّ وجود الله تعالى مادة للخلق أنفسهم . ومن هذا الوجه شبهوا الله تعالى بالبحر والخلق بالأمواج وشبّهوه بالماء والخلق بالثلج كما قال شاعرهم :

وما الخلق في التمثال إلّا كثلجة ... وأنت لها الماء الذي هو نابع
لكن يزول الماء يرفع حكمه ... ويبقى حكم الماء والأمر واقع

ومن هذا الوجه اعتبر الأصوليون سيرة العقلاء حجة ودليل بما هي ممضاة من الشرع لا بما هم عقلاء .

ومن هذا المنطلق قد هاجم الشيخ أحمد بعض الفلاسفة والحكماء الّذين أسندوا فلسفتهم إلى العقل وحده . وبالأخص والخصوص كبير الصوفية وقائدهم محي الدين بن عربي فقد تبرأ منه الشيخ تبرءاً دينياً شنيعاً لادعائه بدعاوى فاسدة ومقولات كاسدة .

- رأي ابن عربي في فرعون :

فمن مقولاته الشنيعة وعقائده الفاسدة ، ادعائه بإيمان فرعون لعنه الله الذي ادعى الربوبية ، المجمع على تكفيره الكتاب والسنّة والفريقان من السنّة والشيعة قاطبة . وهذا ابن عربي يخالف الثقلين واجماع المسلمين ويقول بايمان فرعون بأدلة أوهن من بيت العنكبوت ، التي منشؤها الأوهام والتخيلات المجتثة الفاسدة التي ليس لها من قرار ، قال : « فقالت لفرعون في حق موسى أنه قرة عين لي ، ولك فيه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها كما قلنا ، وكان قرة عين لفرعون بالايمان الذي أعطاه الله له عند الغرق . فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث ، لأنه قبضه عند إيمانه قبل ان يكتسب شيئاً من الآثام ، والإسلام يجبُّ ما قبله ، وجعله آية على عنايته سبحانه بمن شاء حتى لا ييأس أحد من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلّا القوم الكافرون ، فلو كان فرعون ممن ييأس ما بادر إلى الايمان »[١٣] .

- رأيه في قوم نوح :

ومن شطحات ابن عربي انه قد صحّح عبادة قوم نوح على نبينا وآله وعليه السلام الأصنام . يعوق ويغوث ونسرا . قال بأن المشركين من قوم نوح عليه السلام ، ما عبدوا إلّا الله تعالى وحده ، فهم مؤمنون موحدون بالله تعالى . لان الله تبارك وتعالى أحب أن يُعْبَد عن كل وجه وصورة . وهذا الكلام مخالف لظواهر القرآن والسنّة واجماع المسلمين الناص على شرك عبدة الأصنام

---

(١٣) شرح فصوص الحكم للقيصري : ص٤٥٢ . ط بيار قم .

ومحي الدين ابن عرب قد خالف كل ذلك وقال : « فقالوا في مكرهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله من المحمديين . وقضى ربك الا تعبدوا إلاّ إياه ، فالعالم يعلم من عَبَد وفي أي صورة ظهر حتى عبد ، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء عن الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية فما عُبِد غير الله في كل معبود »[١٤] .

هذا والقرآن ينادي بأعلا صوته بكفر وضلالة المشركين من قوم نوح عليه السلام بقوله تعالى على لسان نبيه : ﴿**قال نوح ربِّ إنهم عَصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاّ خساراً * ومكروا مكراً كُبّاراً * وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يغوثَ ويَعُوقَ ونسراً * وقد أضلوا كثيراً ولا تزِد الظالمين إلاّ ضلالاً * مما خطيئاتِهم أُغرقوا فأُدخِلُوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً * وقال نوح ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفاراً ***﴾ .

ـ رأيه في وحدة الوجود :

ومن شطحات محي الدين ابن عربي دعوته بوحدة الوجود القائم الدليل على ضلالة المعتقد العامل بها . فان محي الدين قد صرح تصريحاً واضحاً بوحدة الوجود في كتابيه المشهورين فصوص الحكم والفتوحات المكية وأكد أيضاً على أن الحق تعالى يتجلى لخلقه بذاته المقدسة لان المخلوقات هي عبارة عن مرايا لتجليات الله تعالى . بقوله : « وقد كان الحق أوجد العالم كله وجود شبح مسوّى لا روح فيه ، فكان أي العالم كمرآة غير مجلوة ، ومن شأن الحكيم الإلٰهي أنه ما سوّى محلاً إلاّ ولا بد أن يقبل روحاً إلٰهياً عبَّر عنه بالنفخ فيه وما هو إلاّ حصول الإستعداد من تلك الصورة المسواة لقبول الفيض المتجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال »[١٥] .

---

(١٤) نفس المصدر : ص١٤٢ .

(١٥) نفس المصدر : ص٦٣ .

انـظر كيف مثل الله تعـالى بالشـاخص والخلق بالمـرايا ، وهـذا التمثيل والكلام يؤدي إلى الإنفصال والعزلة بين الحق وخلقه والمعروف أنـه لا توجـد عزلة بين الله وخلقه بل بين الله ومخلوقاته بينونة صفة لا عزلة ففعل الله تعـالى موصوف والخلق صفته .

ثانياً يلزم من هذا الكلام أن يكون الحق تبارك وتعالى في جهة ومكان والله ليس في جهة ولا يحويه مكان ، لأنه هو الذي أوجد الجهة والمكان والزمان فلا يجري عليه ما هو أجراه . فهو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . بل لا يخيطون به علماً قال الإمام علي عليه السلام : « فمن وصفَ الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثنـاه فقد جـزَّأه ، ومن جزَّأه فقـد جَهِلَه ، ومن جَهِلَه فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حَدَّه ، وَمَن حدَّه فقد عدّه ، ومن قال « فِيمَ » فقد ضَمّنهُ ، ومن قال « عَلاَمَ ؟ » فقد أخلى منه . كائن لا عن حَدَثٍ ، موجود لا عن عدم . مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه . متوحّدٌ إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده »[١٦] .

عـزيـزي المنصف هـل تجـد كلمـة واحـدة مـوافقـة للكتـاب أو السنّـة المطهرة؟؟

كلاّ بل كله مخالف لاجماع المسلمين وظواهر الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله ويا للأسف ان بعض فلاسفة الاسلام ممن يتبنى أفكار هذا الرجل ويهتم بآرائه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- ابن عربي والرؤيا :

فعلى كثرة أخطاء وشطحات محي الدين ابن عربي في كتـابيه فصـوص الحكم والفتـوحـات المكيـة . يـدعي أنـه رأى النبي صلى الله عليـه وآلـه في المنام ، وأمضى وأقرَّ له كتاب فصوص الحكم قال ابن عربي : « اما بعد فإني رأيت رسول الله (ص) في مبشرة ، أريتها في العاشر الآخر من المحرم سنة سبع

---

(١٦) نهج البلاغة الخطبة الأولى .

وعشرين وستة دمشق ، وبيده (ص) كتاب فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت السمعَ والطاعةَ لله ولرسوله وأولي الأمر منا »[١٧] .

لذا ابن عربي قد ترك جرجاً كبيراً ينزف إلى يومك هذا ، من ابتداع في الدين وتحريف سنّة سيد الأنبياء والمرسلين . ومن هذا الوجه قد حارب الشيخ أحمد الإحسائي فكر ابن عربي لمخالفة الشريعة الإسلامية في آرائه الفاسدة فلا يسميه إلاّ بمميت الدين لانه فعلاً قد أمات الدين بأفكاره المنحرفة المعوجَّة .

ثانياً : إن الشيخ أحمد الإحسائي ، قد اعترض على القول بقدم المشيئة ، واعتبارية الوجود أو الماهية . بل يقول بأصالتهما معاً ، واعترض على القول بشريك الباري ، والقول بأن الله تعالى علة العلل فهو لا علة له فالعلة هي مشيئة لا ذاته تعالى ، واعترض على جعل لفظ الله تعالى علماً للذات البات ، لانه تعالى لا إسم له ولا رسم . وإنما جعل الاسم والرسم للتعريف والتعرف وهو تعالى لا يعرف من طريق ذاته أبداً . نعم له أسماء عديدة وظهورات كثيرة كما قال تعالى ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ لكن هذه الأسماء لعناوينه وظهوراته الحادثة لا لذاته القديمة . واعترض على اعتبارية الامكان والمصادر ، بل يقول الشيخ باصالة الامكان والمصادر لكونهما الأصل ، فلو كانا اعتباريين لكانت المشتقات والمفعولات أشد اعتبارية من الأصل[١٨] .

ثالثاً : انه قد توجه ـ وهذا هو الأهم من أطروحاته ـ إلى شرح بعض الآيات والروايات ، وبعض الأدعية والزيارات التي تعنى بمقامات محمد وآل محمد عليهم آلاف التحية والثناء بالمقام النوراني لا البشري . لذا قد أخرج كنوزاً من مقامات آل محمد عليهم السلام بالمقام النوراني لم تكتشف من قبله ، وفض أبكاراً لم توطأ ، من كونهم عليهم السلام السبب الأعظم في الإيجاد ، والآية العظمى ، والدلالة الكبرى لله تعالى ، فلا يوجد ثمة طريق إلى معرفة الحق تعالى إلاّ من طريقهم وتعريفهم وارشادهم لذا قال الإمام الهادي

---

(١٧) فصوص الحكم : ص٥٣ .

(١٨) يأتي التفصيل انشاء الله في ص٤١ .

عليه السلام : « من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل منكم ومن قصده توجه بكم »[١٩] .

فمن سلك درباً غير دربهم فقد ضل ضلالاً مبيناً ، وخسر خسراناً عظيماً ونعم ما قال الشيخ رجب البرسي عليه الرحمة :

فرضي ونفلي وحديثي أنتم ... وكل كلي منكم وعنكم
وأنتم عند الصلاة قبلتي ... إذا وقفت نحوكم أيمم
خيالكم نصب لعيني أبداً ... وحبكم في خاطري مخيم
يا سادتي وقادتي أعتابكم ... بجفن عيني لثراها ألثم
وَقْفاً على حديثكم ومدحكم ... جعلتُ عمري فاقبلوه وارحموا

ومن هنا قد اشتهر الشيخ أحمد الإحسائي ـ أعلا الله مقامه ـ بشرح الزيارة الجامعة الكبيرة فمتى ما يذكر هذا الشرح تبادرت الأذهان وأشارت الأكف إلى شيخ المتألهين الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي رضوان الله عليه .

ـ المقامات الأربعة لأهل البيت (ع) :

ومن أهم المقامات النورانية لأهل البيت عليهم السلام التي سجلها الشيخ أحمد الإحسائي في أسفاره . المقامات الأربعة لهم عليهم السلام وهي :

(١) مقام البيان .

(٢) مقام المعاني .

(٣) مقام الأبواب .

(٤) مقام الامامة .

فأدنى مقام لأهل البيت عليهم السلام الذي هو مقام الامامة ، هو أعلى مقام للأنبياء والرسل الّذين هم من أولي العزم كما قال تبارك وتعالى لنبيه إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا وآله السلام : ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه**

---

(١٩) الزيارة الجامعة الكبيرة .

بكلمات فأتمهنَّ قال إنِّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ .

فآل محمد عليه السلام في هذه المقامات الأربعة يمثلون الولاية الإلٰهية العظمى والعبودية التي كنهها الربوبية ، كما قال الإمام الصادق عليه السلام : « العبودية جوهرة كنهها الربوبية ، فما فُقِد من العبودية وُجِدَ في الربوبية ، وما خُفِيَ عن الربوبية أُصيب في العبودية »[٢٠] .

وفي هذه المقامات الأربعة أيضاً يمثلون ويظهرون أمر الله تعالى الفعلي والمفعولي . فأمر الله الفعلي قوله تعالى : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ .

وأمره المفعولي قوله تعالى : ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ فالمظهر لأمر الله تعالى بكلا قسميه هم عليهم السلام لذا قال الإمام الهادي عليه السلام : « والمظهرين لأمر الله تعالى ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقُول وهم بأمره يعملون »[٢١] .

ـ مقـــام البيـــان :

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلّا لمعرفته وعبادته ، قال تعالى : ﴿وماخلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾ ، ومعرفة الله تعالى لا تكون إلّا عن طريق آثاره وأفعاله . فكل ما في الوجود الحادث آيات ودلائل تدل عليه تعالى . لكنها لا تحكي المعرفة الكاملة لله تعالى ، لانه سبحانه ليس كمثله شيء وهذه الآيات المطروحة على مسرح الكون مركبة ، بعضها يشبه الآخر . لذا كانت هذه المعرفة المستوحاة من الآيات الكونية والانفسية . لا تعد معرفة حقيقية كاملة .

إذاً وجب على الله تعالى في الحكمة أن يجعل من خلقه مثالاً ودليلاً يدل عليه بحيث يكون هذا المثال ليس كمثله شيء حتى يمثله ويحكيه بأنه ليس

---

(٢٠) مصباح الشريعة : ص٧ ، ط الأعلمي .

(٢١) الزيارة الجامعة الكبيرة في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي عليه الرحمة .

كمثله شيء . وليس في الوجود شيء ليس كمثله شيء عدا معرفة النفس الناطقة التي من عرفها فقد عرف الرب قال الإمام علي عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »[٢٢] فالذي يروض نفسه بالعبادات من قيام المستحبات وترك المكروهات ويصل إلى معرفة النفس حينئذٍ يعرف الرب .

ولكن معرفة الرب هنا ليس المراد منه معرفة ذات الله تعالى بل المراد من معرفة الرب هو معرفة المثال المُلقى في هويته العبد ، وهذا المثال يحكي صفة الرب من كونه ليس كمثله شيء ليدل على أن الله تعالى ليس كمثله شيء . فهذا المثال الملقى في هويته العبد هو مثال مخلوق لكنه أعلى مراتب المعرفة والكمال . وهذا المثال هو من المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان كما قال الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه وأرواحنا فداه في دعاء رجب « وبمقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينها وبينها ، لا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك »[٢٣] .

فيجب ان يكون هذا المثال المحدث أفضل خلق وأشرفه وأقربه إلى الحق تعالى بحيث لا يوجد في جميع الكائنات موجود أشرف وأكمل منه . لكي يكون معرِّفاً للحق تعالى بأنه ليس كمثله شيء .

فتعال معي نفتش الكتاب والسنّة والإجماع والعقل السليم ، لنرى من أشرف وأكمل وأفضل خلق قد خلقه الله تعالى .

فلن نجد في جميع الموجودات خلقاً أشرف وأفضل وأكمل من محمد وآل محمد عليهم آلاف الصلاة والسلام . لكونهم علة ايجاد الكائنات من الأرضين والسماوات .

فمحمد وآل محمد عليهم السلام هم المثال الملقى في هويات الخلائق

---

(٢٢) غرر الحكم .
(٢٣) مفاتيح الجنان .

ليعرفوهم الحق تعالى بأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وهذا المثال ـ في هذاالمقام ـ لا يعرف بالأين والمتى والكم والكيف والجهة والمكان والزمان والتركيب والجسمية وغيرها من صفات التركيب والحدوث بل يعرفه بأنه ليس كمثله شيء ، أي شيء لا كالأشياء المدركة بالحواس الظاهرة أو الباطنة .

فإذا وصل المكلف بالرياضات المشروعة إلى معرفة النفس عرف ذلك المثال الدال على التوحيد الحق ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ فاتيان اليقين المتولد من كثرة العبادة المشروعة هو معرفة ذلك المثال الحاكي هيكل التوحيد وهو مثال محمد وآل محمد ، لانهم أفضل وأشرف وأكمل مثال .

وهذا المثال هو أكبر مظهر ظهر به الحق لخلقه كي يعرفوه ويعبدوه فمن عرف ذلك المثال فقد عرف الله تعالى ووصل إلى اليقين الذي لا يشوبه شك ولا ريب ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوفاه الله حسابه . قال الإمام الهادي عليه السلام : « من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم »(٢٤) .

فمقام المثال الملقى في هويات الخلائق المظهر للتوحيد هو مقام البيان الذي لهم عليه السلام . قال الشيخ أحمد الإحسائي في هذا المقام « فاما المقام الأول المسمى باثبات التوحيد وبالسر المقنع بالسر وحق الحق فالإشارة إلى بيانه من الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام كثيرة فمنها ما قال علي «ع» : « لا تحيط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها » وقال «ع» : « نحن الأعراف الّذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا » . أقول الذي يشير إلى هذا المقام في الحديث الثاني هو الوجه الثالث منه والمراد من هذا المقام الذي هو اثبات التوحيد هو معرفة الله بصفته التي وصف بها نفسه لعباده الذين أراد ان يعرفوه بها وهي صفة محدثة لا تشبه صفة شيء من المخلوقات وهي مقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان أي في غيبتك وحضرتك من عرفها فقد

---

(٢٤) الزيارة الجامعة الكبيرة .

عرف الله لأنها أمثاله وليس كمثله شيء وفي دعـاء كل يـوم من شهر رجب عن الحجة «ع» « فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فـرق بينها وبينهـا إلاّ انهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك . . . الخ » .

فبين أنهم «ع» معادن لكلماته يعني انهم أعضاد لخلقه لأن العلة المادية لجميع الخلق من شعاع أنوارهم فقد اتخذهم الله سبحانه أعضاداً لخلقه يعني يخلق خلقه من شعاع أنوارهم والخلائق من الأسباب والمسببات كلمات الله كما قال تعالى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم فهم معادن لكلماته وجعلهم سبحانه أركاناً لتوحيده لان المقام الذي لا فرق بينه وبين الله سبحانه إلاّ أنه عبده هو ظهوره للعبد بالعبد وهم «ع» تلك المظاهر كما يأتي في التمثيل بالقائم فانه لا فـرق بينه وبين زيـد إلاّ أنه ظهـور زيد بـالقيام فهـو محدثـه به وركنـه القيام فحقيقتهم كالقيام وظهوره على تلك الحقيقة بها كالقائم والقائم هو المقام الذي يعرف زيداً به من عرف زيداً أي لا يعرف زيد إلاّ به والمراد أن الله سبحانه لا يعرف إلاّ بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلاّ بهم وفيهم كما ان القائم لا يتحقق إلاّ بالقيام وفيه هذا معنى قول علي «ع» : لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنـا فهم أركان توحيده وآياته كذلك ومقامـاته وكـونها لا تعـطيل لهـا لانها وجـه الله قال تعالى : ﴿فاينما تولّوا فثم وجه الله﴾ وكون الإثبات لا يكون إلاّ بالخلق لان ذاته تجل عن إدراك العقول وتوهم الأوهام لان العقول والأوهام إنمـا تدرك أنفسهـا وتشير إلى نظائرها وما ذكرنا من المعرفة هي سبيل معرفتهم التي لا يعرف الله إلاّ بها ومثال المقام الذي هو التوحيد القائم كما مر قبل هذا فانك إذا قلت القـائم فهو صفة زيد وهو ظهور زيد بالقيام وليس هو زيداً ولم يستشر ضميره فيه وانما استتر فيه جهة فاعلية قيامه وتلك الجهة قائمة بزيد قيـام صدور[٢٥] وقائمة في

---

(٢٥) أنه من اصلاحات الشيخ أحمد الإحسائي القيامات الأربعة وهي :
(أ) القيام الصدوري وهو كقيام الأشعة بالسراج .
(ب) القيام الظهوري وهو كقيام الأشعة بالجدار أو كقيام الأرواح بالأجسام .
(حـ) القيام العروضي وهو كقيام الألوان بالأجسام .

غبب قائم قيام ظهور وقائم قائم بها قيام تحقق لانها لا تظهر إلّا في قائم وقائم لا يتحقق إلّا بها لانها مبدء وجود قائم وهي حركة أحدثها زيد بنفسها وهي ليست زيداً وانما هي حركته فالقائم مثال زيد وظهور بفعله ، فإذا أردت ان تعرف زيداً فانما تعرفه بما أحدث لك من أمثاله ووصفه كالقائم والقاعد والمتكلم وهذا أي المشار إليه والمسمى بزيد وما أشبه ذلك ممن أمثاله وصفاته وتوصيفاته فتعرفه بما وصف به نفسه وهو ما ظهر لك به من هذه الأفعال والصفات وكلها غيره[٢٦] وهي وإن كانت مثله بحيث يكون بينهما من جهة التعرف والتعريف والمعرفة مساواة لرجوع ذلك كله إلى الصفات والذات عن ذلك كله بمعزل إلّا انها محدثة به صادرة عنه لا منه وهو قوله «ع» في الدعاء المتقدم لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك فافهم . فقول علي بن الحسين عليه السلام في الحديث المتقدم[٢٧] وهي والله آياتنا وهذه[٢٧] أحدها وذلك عن بيانه لقوله تعالى :

(هـ) القيام الركني وهو كقيام الأجزاء بالمركب .

(٢٦) قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » نهج البلاغة الخطبة الأولى .

(٢٧) الحركة للخيط الأصفر المروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام .

(٢٨) الحديث المتقدم هو ما روي في كتاب أنيس السمراء وسمير الجلساء قال حدثني أحمد بن عبدالله قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا إبراهيم بن محمد الموصلي قال أخبرني أبي عن خالد عن القاسم عن جابر بن يزيد الجعفي عن علي بن الحسين «ع» في حديث طويل ثم تلا قوله تعالى : ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكانوا بآياتنا يجحدون**﴾ وهي والله آياتنا وهذه أحدها وهي والله ولايتنا يا جابر إلى أن قال «ع» يا جابر أو تدري ما المعرفة المعرفة اثبات التوحيد أولاً ثم معرفة المعاني ثانياً ثم معرفة الأبواب ثالثاً ثم معرفة الإمام رابعاً ثم معرفة الأركان خامساً ثم معرفة النقباء سادساً ثم معرفة النجباء سابعاً وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾ وتلا أيضاً : ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم**﴾ . يا جابر اثبات التوحيد ومعرفة المعاني . أما اثبات التوحيد فمعرفة الله القديم العامة الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيب باطني كما سنذكره كما وصف به نفسه ، واما المعاني فنحن

﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ يشير إلى ما ذكرنا وإنهم ذووا الآيات التي جحد بها الكافرون والمشركون وهم الّذين نسوهم كما نسوا لقاء يومهم يوم القيامة وهذا المقام كله وهو مقام وإليه يرجع الأمر كله أحد الآيات وهي تلك الفعلة التي فعل بهم حين حرك الخيط الأصفر وهي ولا يتهم إلّا أن هذا أعلاها لانه ليس له شبه كما قال «ع» اما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً أما أن ذلك ليس كمثله شيء فلأنه وصف الحق سبحانه نفسه للعباد فلا يشابه شيئاً من الخلق وأما أنك تعبده فلأنك تعبد الله الظاهر لك به حتى أنه غيّبه عن نفسه وعن المخلوقات فلا يتوجه العابد إلّا إلى الذات مع أنه أبداً لا يجدها ولا يفقدها حيث لا يجدها أبداً فهذا مقام السر المقنع بالسر وحق الحق[٢٩] وهو البيان والتوحيد وهذا المقام لهم حيث لا يجدون أنفسهم شيئاً ووجدوا الله ظاهراً في كل شيء قد جعله دكاً ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها كان وحده لا يسمع فيها صوت إلّا صوته وهذا المقام لا يكون موضع الرسالة لانه مصدر الإرسال فكيف يكون موضع الرسالة »[٣٠] .

فهذا المقام أعني مقام البيان من المقامات العاليات لأهل البيت عليهم السلام .

ـ مقام المعاني :

في هذا المقام أعني مقام المعاني هم عليهم السلام معاني فيوضات الحق تعالى في الأمور الشرعية الوجودية والوجودية الشرعية فهم علمه تعالى

معانيه وظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا عباده» الحديث صحيفة الأبرار ج٢ عن عوالم العلوم عن أنيس السمراء وسمير الجلساء وأيضاً في البحار ج٢٦ ص٨.

(٢٩) قول الشيخ عليه الرحمة فهذا مقام السر المقنع باسر مأخوذ من نفس الرواية كما رواه محمد بن الحسن الصفار من بصائر الدرجات عن الإمام الصادق (ع) : « إن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر » ص٤٩ ط الأعلمي طهران .

(٣٠) شرح الزيارة للشيخ أحمد الإحسائي في شرح فقرة « وموضع الرسالة » ج١ ص٢٢ ط . الحديثة .

وكرمه ويده الباسطة ووجه المضيء وقدرته الدامغة ورحمته الواسعة وجنبه العلي وعينه الناظرة فالله هو العالم وهم علمه والله الكريم وهم كرمه والله تعالى السميع وهم سمعه وهكذا ، وهذا المعنى قد نطقت به الآيات القرآنية والروايات المأثورة عنهم عليه السلام والأدعية الصادرة المدونة في كتب العلماء الأعلام كمفاتيح الجنان وغيره كما في الزيارة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام « السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة وأذنه الواعية وحكمته البالغة ونعمته السابغة ونقمته الدامغة . . . السلام على اسم الله الرضي ووجهه المضيء وجنبه العلي ورحمة الله وبركاته »[٣١] .

قال الشيخ أحمد أعلا الله مقامه عن هذا المقام « المقام الثاني مقام المعاني وباطن الباطن وهو سر السر وسر على سر وحق الحق باعتبار وهو كونهم معانيه تعالى يعني علمه . وحكمه وأمره الخ . يعني علمه الذي وسع السموات والأرض وحكمه على كل الخلق ونعمه على جميع خلقه وخيره الذي منَّ به على الخلائق وجنبه الذي لا يضام من التجأ إليه وذمامه الذي لا يطاول ولا يحاول ودرعه الحصينة وحصنه المنيعة ورحمته الواسعة وقدرته الجامعة وأياديه الجميلة وعطاياه الجزيلة ومواهبه العظيمة ويده العالية وعضده القوية ولسانه الناطق وأذنه السميعة وحقه الواجب وهذا مثل قولك قيام زيد وقعوده وحركته وسكونه وتسلطه وأياديه وامتنانه ومعاقبته وأمثال ذلك فهذه معاني زيد فقولهم «ع» نحن معانيه كما تقدم في حديث جابر[٣٢] يرادمنه نحو ماأشرنا إليه لان هذه المعاني بالنسبة إلى الذات ليست شيئاً إلّا بالذات فلا تحقق لها إلّا بالذات وانما

---

(٣١) الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام ومفاتيح الجنان .

(٣٢) روى عن جابر بن عبدالله عن أبي جعفر «ع» أنه قال : يا جابر عليك بالبيان والمعاني قال فقلت : وما البيان والمعاني ؟ قال قال علي «ع» : أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا شرك به شيئاً واما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقه إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريده فنحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا «ص» ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم فمن عرفنا فأمامه اليقين ومن جهلنا فأمامه سجين ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء وإن إلينا إياب هذا الخلق ثم علينا حسابهم » شرح الزيارة ص٢١ .

تذوتها بالنسبة إلى آثارها واعراضها فهي بالنسبة إلى الذات أسماء معان بهذا المعنى وبالنسبة إلى آثارها أسماء أعيان وذوات قائمة على آثارها وأعراضها بما قبلت من امداداتها ولا يعني بالذات والعين إلاّ هذا منهم في هذا المقام أعلى مقامات موضع الرسالة لأنه مطارح إرسالات مواد الحيوة الوجودية من الماء الإلٰهي والنَّفَس الرحماني الثانوي عن ايجاد الشرعيات الوجودية وايجاد الوجودات الشرعية ، وهذا هو الدواة الأولى وهو نٓ والقلم وما يسطرون ، والماء الذي جعل منه كل شيء حي والكتاب الأول ومفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين وهو أرض الجرز والزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه نار »[٣٣] .

فمقام المعاني شبيه بعالم المصادر بالنسبة لمشتقاتها . فكما أن المصدر هو أصل المشتقات كذلك مقام المعاني هو أصل لجميع ظهورات الحق تعالى وأصل لاستواء الرحمن على عرشه بحيث أنه تعالى أعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه من الرزق والحياة والموت والخلق بهم عليهم السلام فالمصدر مثل « الكتابة » داخل في جميع المشتقات لكن بقيود متخالفة فالكتابة داخلة في اسم الفاعل « كاتب » بقيد الفاعلية وفي اسم المفعول « مكتوب » بقيد المفعولية وفي اسم المكان بقيد المكانية وفي اسم الزمان بقيد الزمانية وهكذا إلى بقية المشتقات . فالمصدر داخل في كل المشتقات ولكن بقيود متخالفة كما ذكرنا[٣٤] .

فمقام المعاني هو أيضاً داخل في جميع الكائنات المقيدة من العقل الكلي إلى ما تحت الثرى لكن بقيود متخالفة على حسب مراتب الكائنات من السلسلة الطولية من الدرة إلى الذرة لذا عبر عنه سبحانه في كتابه الكريم بالماء الذي جعل منه كل شيء حي بالوجود قال تعالى : ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء**

---

(٣٣) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : ص٢٥ .

(٣٤) فالمشتقات قائمة بالمصدر قيام ركن وتحقق ، والمصدر قائم بالمشتقات قيام ظهور .

حي﴾ فأنت حينما تقول كتابة زيد جميلة ، تعني بذلك المكتوب من استعمال المصدر موضع اسم المفعول كما قال تعالى : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ أي من معلومه فاستعمال المصدر بدل اسم المفعول والفاعل كثير في اللغة العربية وذلك لكون المصدر هو الأصل والمعنى لأفراد المشتقات جميعاً .

فمعاني ظهورات الحق تعالى المستوى بها على عرشه من الخلق والرزق والاحياء والأماتة والقدرة والسمع والبصر والوجه والتسلط والإنتقام والأمر والحكمة والحق الواجب هم أهل البيت عليهم السلام لذا ورد عن أسود بن سعيد قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول : « ابتدأ من غير أن يسئل نحن وجه الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده »[٣٥] .

فاصطلح الشيخ أحمد الإحسائي على اطلاق هذا المقام بالنفس الرحماني الثانوي والنَّفس الرحماني الأول هو الرتبة الثانية من مراتب فعل الله تعالى وهي المشيئة والإرادة[٣٦] والقدر والقضاء والامضاء ، والنَّفَس بالفتح لكونه الخلق الأول على اعتبار كما ذكر الشيخ في شرح فوائده واصطلح أيضاً على اطلاق هذا المقام بالدواة الأولى لكونه الأصل في كتابة الوجود المقيد ، واصطلح عليه أيضاً بـ « ن » وبالماء النازل من سحاب المشيئة والكتاب الأول وأرض الجرز والبلد الميت والزيت فكل هذه الإصطلاحات ترجع إلى هذا المقام وكل هذه الإصطلاحات مستوحاة من الكتاب والسنّة فمثلاً حينما يصطلح عليه بالزيت مستوحياً ذلك من الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ فالزيت بهذا الإصطلاح يمثل أصل تكون الشعلة التي بوجودها انوجدت الأشعة في عالم السراج . والنار هي المشيئة الإلٰهية أي حينما مسّت نار المشيئة الزيت تكلس الزيت بفعل الحرارة ، ونتج عن ذلك دخان وعن الدخان تشعشعت الشعلة في أرجاء عالم السراج . فالزيت هنا هو أصل الاضاءة ومعناها ، فلولا وجود الزيت

(٣٥) بصائر الدرجات : ص٨١ للشيخ محمد الصفار ط منشورات الأعلمي .
(٣٦) فمن اصطلاحات الرتبة الثانية لفعل الحق تعالى النفس الرحماني الأولى بالفتح .

لما كان ما كان من الاضاءة والتشعشع أصلاً .

ـ مقـــام الأبـــواب :

أهـــل البيت عليهم السـلام في هـــذا المقـام أعني مقـــام الأبـواب هم المترجمون للفيـوضات الـربانيـة والسبحات الإلٰهيـة لجميع الخلق فهم عليهم السلام في هذا المقام باب لجميع ما يحتاج إليه الخلائق من وجوداتهم الشرعية وشرعياتهم الوجودية من الخلق والرزق والحياة والاماتة فهم الباب المشـار إليه في الدعاء « إلٰهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنـانك » فمن دخـل في التوحيد من غير بابهم فقد ضل ضلالاً مبيناً قال تعالى : ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها**﴾ .

قال الشيخ أحمد أعلا الله مقامه : « والمقام الثالث مقام الأبواب وباطن الظاهر وسر لا يفيده إلّا سر والسفارة إلى الله وترجمة وحي الله . وبيانه أنه إذا وقع الماء الأول على أرض الجرز والبلد الميت وبعبارة أخرى إذا استضاء الزيت عن النار وبعبارة أخرى إذا وقعت الدلالة من الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر على المعنى الميت في قلب العبـــد المؤمن ظهـر على العبـــارة الأولى الـزرع والنبات الطيب وعلى الثانية المصبـاح وعلى الثالثـة المعنى والمراد من الـزرع والنبات والمصباح والمعنى شيء واحد ، وهو الاسم الذي أشرقت به السموات والأرضون ، وهو المعبر عنه عند أحد الأشراق بالعقل الكلي وعند أهل الشرع بالقلم والعقل المحمدي ، وقد يطلق عليه الروح المحمدي ، فلما استوى عليه الرحمٰن ، أودع فيه غيوب الأشياء ، وهي معاني جميع الخلق فهو باب الله إلى خلقه ، ولما أمر العقل فقال له : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل فأقبل أخـرج منه رقائقها وصورها إلى قوابلها فيمـا لا يزال فهـو باب الله إلى خلقـه ولما تهيـأت القوابل لقبول حياتها وجميع ما لها من ربها وقبلت كان ذلك القبول بواسطته فهو باب الخلق إلى الله ، فلما أمرهم بطاعته وامتثلوا أمره قَبِـل أعمالهم بـواسطتـه والتوجه به إلى الله فرفع به أعمالهم فهو باب الخلق إلى الله ، وهذه الـوساطـة والتـرجمة والسفـارة عامـة لجميع الـوجودات الشـرعية والشـرعيات الـوجوديـة فهم «ع» عن هذا المقام موضع الرسالة بالنسبـة إلى المقام الأول ومحـل وحيه

ومهبط نوره ومسقط نجومه وهكذا بالنسبة إلى المقام الثاني هم حفظة شريعته ، وموضع رسالته الثاني من الأول ليترجموا لمن دونهم الامدادات ممن هو فوقهم »[٣٧] .

فهم عليهم السلام في هذا المقام مقام الشعلة التي ذكرناها من قبل ، أو قل مقام الزرع والنبات الطيب أو المعنى كلها بمعنى واحد ، وهو ان هذا المعنى أو الشعلة هي باب ومترجم لما بعدها لكونها الأول والأسبق ، وخلاف ذلك يقتضي الطفرة الباطلة . فآل محمد عليهم السلام هم باب الله الذين وقف سائلو المدد ببابهم « إلهي وقف السائلون ببابك » فالسائلون هم جميع مراتب الوجود من السلسلة الطولية فهم واقفون طالبون الفيض والممدد من الله تعالى لكن عن طريق هذا الباب وهو محمد وآل محمد عليهم السلام . لذا نجد كثيراً في الروايات المروية عن أهل العصمة عليهم السلام انه لو كان العبد يصوم نهاره . ويقوم ليله ويعبد ما يعبد وهو مبغض لآل محمد عليهم السلام أكبّه الله مع منخريه في نار جهنم لانه أتى من غير الباب الذي أمر الله به قال تعالى : **﴿هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذٍ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلاّ من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع﴾** فهذه الآية نزلت في حق نواصب آل محمد عليهم السلام .

ـ مقـــام الامامـــة :

هذا المقام مقام الحجة البالغة والآية الكبرى للخلق الدالة على الله تعالى . ومقام خليفة الله في سمائه وأرضه ، فأمرهم أمر الله تعالى ونهيهم نهي الله قال تعالى : **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾** لانهم مسدّدون معصومون عن الخطأ والزلل وحتى ترك الأولى . قال الشيخ أحمد في ذلك « والمقام الرابع مقام الامامة وهو الحق وهو الظاهر وهو السر المستسر وهو مقام حجة الله على خلقه وخليفته في أرضه ، افترض طاعته على جميع خلقه ، جعله الله قيّماً على

---

(٣٧) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : ص٢٦ .

العباد وحفيظاً وشاهداً وداعياً إلى الله وهادياً إلى سبيله ووجهه الذي يتقلب في الأرض ، وعينه الناظرة في عباده ، فكّاك الأزمات المعضلة ، وفاتح الحصون المقفلة ، والقصر المشيد والبئر المعطلة وملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين وأمن الخائفين وعون المؤمنين ، فالإمام في مقام الإمامة هذا هو موضع الرسالة يعني أن جميع أحكام الله التي أوحاها إلى رسول الله «ص» عندهم فهم حفظته من حكم وعلم وفهم وذكر وفكر وغير ذلك فهم «ع» موضع الرسالة في الأحوال الثلاثة كل مقام بحسبه ، بخلاف المقام الأول ، فإنه لا يصلح للموضعية إذ ليس قبله ارسال . . . . وفي الكافي عن الحارث بن المغيرة وعدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبدالله بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبدالله «ع» يقول : إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون قال ثم مكث هُنيئة فرأى ان ذلك كبر على من سمعه منه فقال علمت ذلك من كتاب الله تعالى إن الله تعالى يقول فيه تبيان كل شيء . والحاصل أنهم عليهم السلام موضع الرسالة بهذه المعاني التي ذكرناها وما أشبهها لا بمعنى أنهم رسل جعلهم محال الرسالة يُوحي إليهم كما توجَّه بعض الغلاة وقد كذبوا وانما هم محدثون صلى الله عليهم أجمعين »[٣٨] .

انتهى أعلا الله مقامه من بيان المقامات الأربعة لأهل البيت عليهم السلام . فإني قد أكون قد أسهبت في هذا الموضوع ، ولكن هذا ليس بيدي ، لاني في مقام ايضاح وتبيين منهج وفكر الشيخ والإستدلال بكلامه نفسه . هذا مع العلم أني مراعي الإختصار وعدم التطويل لانه في الحقيقة كل كلمة وكل فقرة من فقراته تحتاج ما تحتاج من السرد والتسهيل .

هذا والسلام على من اتبع الهدى .

عبد الجليل الأمير

---

(٣٨) شرح الزيارة الجامعة للشيخ : ص٢٧ .

الغاية من ايجاد الخلق

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الله سبحانه وتعـالى حينما أحب أن يُعـرَف ، خلق الخلق لكي يُعرف . فالعلة الغائية من خلق الخلق هي المعرفة . قال الإمام الرضا (عليه السلام) : « أول عبادة الله تعالى معرفته »[1] . فمن لا يعرف لا يمكن له العبـادة . ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون**﴾ ، أي ليعرفون .

فمن هنا نعلم ان الخلق كلهم مكلفون بالعبادة لله وحده ﴿**وإن من شيء إلاّ يُسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ . فمن لا يعرف لا يعبد .

إذن ، الله تعالى ما خلق الخلق إلاّ لعبادته ، المترتبة على معرفته . ولكن يا ترى هل هذه المعرفة التي من أجلها خلق الله الكائنات ، هي معرفة ذات الله تعالى ، أم معرفـة آثاره وأفعـاله من السمٰـوات والأرضين الموصلة إلى معـرفته سبحانه ؟

بالطبع ، المعرفة الواجبة على الخلق هي معرفة الآثار والأفعال المطروحة على مسرح الكون ؛ لأن معرفة ذات الله تبارك وتعالى مُحال عقلاً ونقلاً .

قال تعالى : ﴿**ولا يحيطون به علماً ، وعنت الوجـوه للحي القيوم وقـد**

---

(١) عيون الأخبار . خطبة التوحيد ـ للرضا (ع) : ص١٢٤ .

خاب من حمل ظلماً﴾ ، لأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . فهو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

فالطريق الوحيد لمعرفته سبحانه هو طريق آثاره وخلقه ، فَعَبْرَ طريق مصنوعاته نعلم ونستدل على وجوده وإلاهيته .

فالله تعالى تعرف للخلق بالخلق أنفسهم ، لا بذاته تعالى . قال الإمام علي عليه السلام : « تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها »[٢] فالتجلي في رتبة المتجلي . وذلك مثال الشاخص الظاهر والمتجلي للمرآة . فتجلي وتعرُّف الشاخص للمرآة بنفس المرآة ، لا بشيء آخر على قدر صفائها وكدورتها . فإن كانت المرآة صافية ، ظهرت صورة الشاخص صافية ، وان كانت معوجَّة ظهرت الصورة معوجَّة ، وإن كانت كدرة ظهرت الصورة كذلك .

فالتجلي والتعرف ، أعني تعرف الشاخص للمرآة ، لا يكون إلاّ في رتبة المرآة ، أي المتجلي فيه من الصفاء والكدورة والاعوجاج .

هذا مع العلم ان الشاخص لم يكن داخلاً في المرآة ، ولا المرآة داخلة في الشاخص ، بل تجلي للمرآة بالمرآة ، فبالمرآة امتنع الشاخص ان يظهر بذاته ، لأن الصورة هي آيته ودليله وتعريفه للمرآة بنفسها ، فامتناع ظهور الشاخص بذاته لظهوره بفعله وأثره وهي الصورة .

فالآيات والآثار المطروحة على مسرح الكون كلها تجليات وتعرفات الحق سبحانه بنفسها لا بذاته ، يعني انه تعالى ليس داخلاً فيها ولا هي داخلة فيه ، مثل المرآة والشاخص ؛ لذا صرف الحق خلقه إلى النظر في هذه الآثار والآيات ليعرفوه بها وأشار سبحانه إلى ان المعروف والمشار إليه في هذه الكائنات هي الآيات الدالة على الله تعالى ، قال تعالى : ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**﴾ .

لاحظ قوله تعالى : ﴿**آياتنا**﴾ ولم يقل « ذاتنا » . فالله هو المتجلي

---

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٨٥ .

والمتعرِّف ، لكن عن طريق آياته وآثاره تعالى[٣] .

لذا ، فالقرآن الكريم والسنّة المطهرة قد أكّدت تأكيداً على النظر في الآفاق والأنفس ، لمعرفة الحق سبحانه وتعالى ، لأنه ما تجلى للخلق إلاّ بالخلق أنفسهم ، وذلك لعدم إحاطته ومعرفته « كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم فيما سواه معلول »[٤] .

فالحق تعالى تعرف للخلق بتعريفين : تعريف حالي وتعريف مقالي ، ليعرفوه بهما .

ـ التعريف الحالي :

هو تعريف الشيء بنفسه لا بشيء آخر . مثل تعريفك زيداً جهاز الكمبيوتر ، باحضار نفس جهاز الكمبيوتر لزيد ، وقولك له يا زيد هل تعرف هذا الجهاز الذي أمامك ؟ فيقول : نعم . فتقول له : هذا الجهاز هو جهاز الكمبيوتر . فكلما أمعن ودقق زيد النظر إلى هذا الجهاز كثيراً زادت معرفته وعلمه به وبخفايا هذا الجهاز . فهذا التعريف لا يحتاج إلى ذكر مقدمات أو شيء آخر غير نفس هذا الشيء المعرَّف .

ـ التعريف المقالي :

هو تعريف الشيء بمعرِّف خبير عالم فاهم لهذا المعرَّف . فجهاز الكمبيوتر لا يستطيع ان يعرفه كل أحد من البشر ، بل تتوقف معرفة هذا الجهاز المعقد على رجل خبير دارس ، مستوحي درسه من عالم ومهندس خبير بخفايا هذا الجهاز ودقة صنعه أو ما يحتوي عليه من مميزات وخدمات ، فكلما كان المعرِّف آخذاً معلوماته وتعريفاته من صانع ومبدع هذا الجهاز ، كان تعريفه أدق وأصحّ ، بصرف النظر من أن يكون رجلاً عامياً يعرف هذا الجهاز فيكون حينئذٍ

---

(٣) مثال الشاخص والمرآة بالنسبة للتوحيد ما هو إلاّ للتقريب والتفهيم ، وإلاّ فالله ليس كمثله شيء .

(٤) عيون الأخبار . خطبة التوحيد للإمام الرضا (ع) .

فَظَنَّهُ الخطأ والزلل في التعريف .

كما أنه لا يمكن لهذا المعرف الخبير أن يسمي هذا الجهاز أو يسمي بعض محركاته وآلاته ما لم يسمه صانع هذا الجهاز . بل ينبغي على هذا المعرِّف ان يسمي هذا الجهاز على حسب ما استوحاه من صانعه ومبدعه ، وإلاّ يلزم التحريف والتغيير . فلا يمكن ولا ينبغي لهذا المعرف مثلاً ان يعرف الدسك بالباب ، ففي ذلك تعريف الشيء بغيره ، وهذا خلاف التعريف الجامع المانع .

فتعريف الشيء بالتعريف الحالي أجلى وأتم من التعريف المقالي لعدم احتياجه إلى معرف غير نفسه ، والجمع بين التعريف الحالي والمقالي أكمل . لذا سبحانه وتعالى لما طلب من خلقه معرفته ثم عبادته تعالى تعرف لهم بكلا التعريفين ، الحالي والمقالي ، لكمال جمعهما .

التعريف الحالي المتعرف به تعالى ، هو هذا الكون بما فيه من عجائب وغرائب في الآفاق والأنفس . فمتى عرف هذه الآفاق والأنفس بالنظر والتفكر والتدبر عرف الله تعالى على حسب قابليته ومقامه . كما ان النملة تدّعي ان لله زبانتين ، وذلك لاعتقاد النملة بأن الزبانتين تعد كمالاً للنملة المتصفة بهما والنقص من فاقدتهما .

فتوحيد الله وتعريفه لخلقه بعدد رؤوسهم ، فلا حدّ ولا حصر لتوحيده من قبل خلقه مع اتفاقهم بأنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

فأكثر الآيات القرآنية حثّت كثيراً على هذا الجانب من التعريف الحالي بالنظر والتفكر . قال تعالى : **﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾** . **﴿أَلَم ترَ إلى الإبل كيف خُلقت ، وإلى السماء كيف رُفعت ، وإلى الجبال كيف نُصبت ، وإلى الأرض كيف سُطحت﴾** .

قال الإمام علي عليه السلام : « من عرف نفسه ، فقد عرف ربه »[٥] .

---

(٥) غرر الحكم .

قال تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ .

فالقرآن والسنّة مملوآن بالحث على التفكر والنظر في هذا التعريف الحالي : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ .

اما التعريف المقالي المتعرِّف به سبحانه ، هو تعريفه عن طريق أنبيائه ورسلهِ وأوصيائه ، وما أنزل عليهم من كتب وصحف ، فكلها نعوت وتعريفات للحق المتعرف لهم بهم . فالتعريف المقالي ، هو طبق بل عين التعريف الحالي . لماذا ؟ لانهم لا ينطقون عن الهوى ، إن هو إلّا وحي يوحى . ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين﴾ .

فمن هذا التعريف المقالي أصبحت أسماء الله تعالى توقيفية لا تشريعية من البشر أنفسهم . فلا يحق لنبي من الأنبياء ، أو رسول من الرسل ، أو وصي من الأوصياء أن يسمي الله ما لم يسمِ به نفسه . قال الرضا (ع) لسلمان المروزي « فليس لك ان تسميه بما لم يسمِ به نفسه »[٦] .

فكل أسماء الله تعالى الصادرة من التشريع من قبل الحق تعالى لا من عند الرسل أنفسهم ، بل هو وحي يوحى .

فلا يجوز لبشر أن يسمي الحق تعالى شجاعاً ، قياساً على أنه القوي القادر ، لموافقة معنى الشجاع القوي القادر . فهذا ابتداع في الدين ومخالفة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله .

---

(٦) عيون الأخبار : ص١٥٠ .

عجز العقل البشري عن التشريع

الحق سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان من طين ، وطلب منه المعرفة ، فالعبادة ، والعبادة لا تتأتى ولا تكون إلّا بمدارك ومشاعر ، حتى تصح العبادة والمعرفة من الخلق .

حينئذٍ خلق للإنسان مداركاً ومشاعراً ليدرك بها ما حوله من الآفاق والأنفس . فجعل له حواساً ظاهرة ، وحواساً باطنة ، لإدراك الظواهر والبواطن من المدركات . فكل حاسة من الحواس لها إدراكٌ معين ومشعر محدد لا تتعدى طورها وحدودها .

فحاسة البصر تدرك المبصرات فقط ، والسمع تدرك المسموعات فقط ، والشامة تدرك المشمومات فقط ، وكذا باقي الحواس على هذا المقياس والمنوال .

فلا يمكن لحاسة البصر أن تسمع ، كما أنه في الوقت نفسه لا يمكن لحاسة اللمس أن تشم . قال الإمام علي (ع) : « إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها »[1] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ص١٨٦ .

فلو أمعنا ودققناالنظر مرة بعد أخرى ، لوجدنا أن هذه الحواس لا يمكن لها أن تأخذ عملها وادراكها إلّا بوسيلة وعبر منير من الغير ، حتى تكون نتائجها سليمة وصحيحة .

مثلاً عندنا حاسة وجارحة البصر ، لا يمكن لهذه الحاسة أن تأخذ عملها في رؤية المبصرات إلّا بوسيلة الضوء وبدونه تنعدم الرؤيا رأساً . وكذا السمع ، فلولا الهواء لما سمعنا ما حولنا ، وكذا الشامَّة ، لولا الريح لما استطعنا ان نشم الروائح الطيبة من المنتنة ، وكذا اللامسة ، لولا المباشرة لما استطعنا ان نفرق بين الملمس اللّين والخشن ، وأيضاً الذوق ، لولا اعتدال مزاج وطبيعة اللسان من الملوحة والحلاوة لما استطعنا أن نفرق بين الملوحة والحلاوة .

فالعقل البشري الذي فضل الله تعالى به الإنسان على غيره من الكائنات الحية ﴿**ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً**﴾ ففضل الإنسان على غيره بالعقل .

فالعقل هو من ضمن الإدراكات والمشاعر التي يدرك بها الإنسان عما حوله من الكائنات بل هو من أرقى المدركات المذكورة سابقاً .

فبالعقل يعرف الإنسان الخير من الشر والحسن من القبح والسعادة من الشقاء وبالعقل يُعْبَدُ الرحمن ويكسب به الجنان ولكن نرجع ونقول هذا المدرك والمشعر العظيم يحتاج إلى منير ودليل يدله إلى الخير ويعلمه الخطأ من الصح .

فعبر هذا المنير والمرشد للعقل تكون جميع استنتاجات العقل كلها صحيحة وسليمة ، فالمرشد والمنير للعقل هو التشريع السماوي المحفوف بالعصمة الإلٰهية ، فلولا التشريع وإرشاداته للعقل يزلق العقل ويتخبط تخبطاً عشوائياً . كما ان البصر يرى المبصرات ولكنه بدون الضوء يخطىء في استنتاجه وحكمه . كذلك العقل البشري يحتاج إلى ارشادات التشريع وبدونه يتخبط تخبطاً عشوائياً .

فإطلاق لجام العقل من دون تقيده بالتشريع يؤدي ذلك إلى الأخطاء

الفادحة والمزالق الهاوية بصاحبها في وادي الضلال والشطحات الفاسدة الضالة المضلة ، بالذات والأخص في العقائد الإسلامية .

فينبغي للعقل أن يتبع الدليل والمرشد والمنير له في ظلمات الجهل والأهواء المتضاربة حتى يسلك الصراط المستقيم وبالأخص في الأمور المنوطة بالعقائد الإسلامية ، لأن العقائد كلها موقوفة على الوصف والنعت لتوحيد وتنزيه صفات وأسماء الباري تعالى ، وكل ذلك توقيف من الحق سبحانه لا يقاس بالعقل .

وإلّا على الإسلام السلام .

فإذا حكم القرآن أو السنّة المطهرة بحكم من الأحكام لا يحق للعقل البشري أن يجتهد في تأويل النص . تعويلاً على مخالفة عقله لهذا الحكم التشريعي قال تعالى : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ . فالعقل تابع لا متبوع . فالمتبوع هما الكتاب والسنّة . والعقل يتبعهما كما ورد عن ثابت الثمالي قال ، قال علي بن الحسين (ع) : « إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ، ولا يصاب إلّا بالتسليم ، فمتى سلم لنا سلم ، ومن اهتدى بنا هدى ، ومن دان بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه مما نقوله أو نقض به حرجاً ، كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم »[٢] .

وورد عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب فوز ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه »[٣] .

وعن أبي يعفور قال : سألت أبا عبدالله (ع) عن اختلاف الحديث يرويه

---

(٢) كمال الدين : ج١ ص٣٢٤ .
(٣) الكافي .

من نثق به ومنهم من لا نثق به . قال : « إذا ورد عليكم حديث فوجد ثمة له شاهداً من كتاب الله ، أو من قول رسول الله (ص) ، وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به »[٤] .

فالذي تُشَدُّ إليه رحال العقول وتحطُّ بجانبه أحكام الوجود ، هما الكتاب والسنّة المطهرة ، لأنهما اللذان يهديان إلى الحق والذي يهدي إلى الحق أحق أن يُتبع لا أن يُهدَّى كالعقول الناقصة ، العقول تُهدى بالكتاب والسنّة وما خالفهما رمى به عرض الحائط .

منهجية الفلاسفة العرفانيين في الإلٰهيات :

أغلب الفلاسفة العرفانيين المسلمين استوحوا واستنبطوا أحكامهم العقائدية من مصدرين هما :

المصدر الأول :

حكمة وآراء فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو وأفلوطين وغيرهم من الحكماء والفلاسفة العرفانيين ، فأخذوا حكمتهم وآراءهم العقائدية أخْذَ تسليم وطمأنينة ، سواء وافق التشريع أم خالفه ، حتى أصبح كلام وحكمه الغير عن بعض الفلاسفة المسلمين كما قال الشاعر :

إذا قالت حذامِ فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذامِ

المصدر الثاني :

تشريع العقل وحده ، فما آتاهم به أخذوه وما نهاهم عنه انتهوا تعويلاً وتدليلاً منهم على ان العقائد أمور عقلية بحتة لا تدخُّل للكتاب والسنّة فيها ، لما يدَّعون من أن الكتاب لا يصح الإعتماد عليه في الأمور العقائدية لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمطلق والخاص والظاهر والباطن ، وكذا لا يمكن على السنّة الشريفة لما فيها من صحة الرواية وضعفها وعدالة

---

(٤) نفس المصدر .

الداوي وفساقته ، ولما في الرواية من منحول وغير منحول .

اما تشريع العقل فليس فيه ذلك ، فحكم العقل لا نقاش ولا جدال فيه ، فإذا حكم بشيء لا يتوهم خلافه .

فمن هذا المنعطف الخطير والإنحراف التشريعي حدث في الدين والعقيدة الإسلامية ما لا يحمد عقباه من مفاسد وشطحات تندى لها جبين العقيدة الإسلامية .

الله يقول : ﴿**وعند مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين**﴾ .

وبعض البشر يقول : « إن الله لا يعلم الجزئيات » والله تبارك وتعالى يقول : ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ وقال تعالى : ﴿**ولقد اخترناهم على علم على العالمين**﴾ والبعض ينفي الإختيار في حق الواجب بقوله إن الإختيار في حق الواجب تعارضه وحدانية المشيئة .

والله يقول : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ويقول : ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾ والبعض يقول : (ليس في جبتي إلّا الله وأنا حتى سولت له نفسه فنظم شعراً :

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا
فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا
وكن حقاً وكن خلقاً تكن بالله رحمانا

وأفتى البعض بقِدَم المشيئة والإرادة ، وأولّ الآيات والأحاديث الدالة على خلق وحدوث المشيئة ، بأن هناك مشيئتين ، إرادة أزلية وهي ذاته تعالى ، وأما المرادة من النصوص هي المشيئة الحادثة المخلوقة لا المشيئة الأزلية ، مع العلم أنه لا توجد ثمة آية أو حديث يدل على وجود إرادة قديمة أبداً . فتسمية الإرادة بالأزلية القديمة إن هي إلّا أسماء سميتموها أنتم وآباؤهم ما أنزل الله بها

من سلطان .

والذي أنكى من هذا وذاك هو الذي ينفى الهية الحق على الجوهر الفرد والإعراض زعماً منه أن الجوهر الفرد والاعراض غير محتاجين إليه سبحانه .

فكل هذا الشبهات والخزعبلات المجتثة التي ما لها من قرار ، صادرة من هذا الإنحراف ، والمنعطف التشريعي المخالف لتشريع السماء ، لذا ضل من ضل ، وغرق من غرق ، بسبب التشريع العقلي البشري .

منهجية الشيخ الأوحد في العقائد

المنهج الذي اتبعه الشيخ أحمد الإحسائي ـ أعلى الله مقامه ـ منهج أهل البيت (ع) ، حيث إنه قد اعتمد على استنباط الأحكام العقائدية الامامية من الكتاب والسنّة المطهَّرة ، فما وافقهما أخذ به وما خالفهما رمى به عرض الحائط .

فيرى الشيخ بأن استنباط الأحكام العقائدية من الكتاب والسنّة أولى من استنباط الأحكام الفرعية منهما ؛ لأصالة العقائد الامامية في الدين . فالأحكام السماوية قد اهتمت لأتفه الأمور ، وجعلت لها أحكاماً خاصة ، مثل كيفية الدخول إلى بيت الخلاء ، بل لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بكيفية الجلوس في بيت الخلاء . فمن طريق أولى ، الرجوع إلى الكتاب والسنّة في الأمور العقائدية .

فالتشريع السماوي شرَّع سُنناً وقوانيناً وحدوداً للعقائد الحقة والطريق المستقيم . فلم يترك الناس سدىً في تيه الضلالة والهوى .

فالشيخ الأوحد خالف أساطين الحكماء وأركان العلماء في آرائهم الفلسفية ؛ لأنه قد استوحى أحكامه وعقائدهُ الفلسفية من الكتاب والسنّة المطهرة ، لذا قال بعد ما ذكر أنه قد رأى الإمام علي (ع) في منامه وأجلسه

بجانبه : « وإذا أردت أن تعرف صدق كلامي فانظر في كتبي الحكمية ، فإني في أكثرها ـ في أغلب المسائل ـ خالفت جل الحكماء والمتكلمين ، فإذا تأملت كلامي رأيته مطابقاً لأحاديث أئمة الهدى (ع) ، ولا تجد حديثاً يخالف شيئاً من كلامي وترى أحاديث أكثر الحكماء والمتكلمين مخالفة لكلامي ولأحاديث الأئمة عليهم السلام ، حتى بلغ منهم الحال إلى أن أكثرهم ما يعرفون كلام الإمام (ع) »[1] .

فالفارق بين الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي وبين غيره ، في الحكمة والفلسفة ، ان الشيخ قلّد أئمته في كل شيء ، بحيث أنه جعل عقله تابعاً للكتاب والسنّة ، لا الكتاب والسنّة تابعان لعقله .

وأما غير الشيخ فأغلبهم قلّدوا حكماء اليونان وتشريع عقولهم وحدها .

فقد أبان الشيخ الأوحد ، الفارق الذي بينه وبينهم بقوله : « إني لمّا رأيت كثيراً من الطلبة يتعمقون في المعارف الإلهية أقول : وذلك لشدة تحقيقاتهم وكثرة تدقيقاتهم وايراداتهم للاشكالات واتباعهم للاعتراضات حتى لا تكاد تجد شخصين متوافقين ، وذلك لاختلاف افهامهم وانظارهم وتغاير مذاقاتهم واعتباراتهم . والسبب في ذلك انهم يقولون : إن الإعتقادات أمور عقلية ولا يجوز التقليد فيها ويلزم من هذا أن كل واحد يثبت ما يفهمه وحيث كان الظاهر تابعاً للباطن ودليلاً عليه كما قال الرضا (ع) « قد علم أولو الألباب ان الإستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هيهنا » وأنت إذا نظرت إلى صور أجسامهم وكلامهم وأفعالهم الطبيعية رأيتها كلها مختلطة وهي صفة بواطنهم ، وإذا جرى كل واحد منهم على مقتضى طبيعته خاصة كما هو معنى قولهم إن الإعتقادات أمور عقلية لا يجوز فيها التقليد ، وجب أن يختلفوا ولا يتفقوا ، نجد أن الذين يعتقدون بعقولهم بما يفهمونه من شيء واحد بأن يكون كل واحد منهم طالباً للمراد من ذلك الشيء الواحد ، فإنهم لا يختلفون في وصفه اختلافاً كثيراً ، لأن أفهامهم في ادراك صفاته تابعة لأبصارهم فيفهمون ما رأوا ، وهؤلاء مثال العلماء

---

(١) سيرة الشيخ الأوحد .

الذين يعتقدون بعقولهم بما علمهم الله تعالى وأخبرهم نبيّه (ص) وأوصياؤه (ع) بجمعهم ، واماالذين يعتقدون ما يخطر على خواطرهم من غير أمر جامع ترجع تلك الخواطر إليه ، بل كل واحد منفرد عن غيره ، فإنهم كما كانوا مختلفين في الصورة ، لا تجد اثنين على صورة واحدة ، كل هم في اعتقاداتهم »[٢] .

فلما رأى الشيخ الأوحد أنهم يعتمدون على استنباط أحكامهم العقائدية من وحي العقل ، حتى آل بهم الأمر أن جعلوا قواعدهم وسننهم الوضعية من عند أنفسهم ، قواعداً وسنناً قرآنية ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها منزّلة من تشريع عقلي بحت ، كدعوى أن الواحد لا يصدر منه إلاّ واحد ، فهذه قاعدة عند بعضهم ، ولا يمكن تغييرها لتأصُّلها في اعتقاداتهم ، حتى أنها أصبحت جبلَّة جُبلوا عليها ، فيصعب على الغير تغيير عقيدتهم وتخريب مبانيهم التي قد أنسوا بها واعتادوا عليها ، فمن اعتاد على شيء صعب عليه تركه ، إلاّ بتوفيق من العلي القدير سبحانه وتعالى .

فعلم الشيخ الأوحد أنه لو أتاهم بنفس كلامهم واصطلاحاتهم التي أسسوها وشرعوها بعقولهم وخالفهم بها فرأساً ينكرونه ويكذبونه لكن الشيخ قد عرف المدخل إلى تغيير عقائدهم المستنبطة والمستوحاة من عقولهم ، بأن أتى باصطلاحات وعبائر مغايرة ومخالفة لاصطلاحاتهم وعبائرهم ، حتى أنهم يرتاعون أولاً باللفظ الجديد الغريب على أفهامهم ، فبعد ما يرتاعون من اللفظ تهفت سَوْرَةُ تعصبهم وتقليدهم . وهنا يكون محط النقاش والإستدلال عن صحة القول وفساده من المطابقة والمخالفة للكتاب والسنّة .

فالشيخ الأوحد قد أشار وأكد إلى هذا المنعطف الذي اتبعه في حكمته وفلسفته بقوله : « قلت رأيت أنه يجب عليَّ أن أروِّعهم بعجائب من المطالب ، أقول : اني لما أردت هداية من سبقت له العناية بالنجاة ولا يمكن ذلك مني في حق من عنده علم بشيء خصوصاً من تسمى نفسه بالعلم ، فإنه قد أنس بأشياء لا تقدر نفسه على مفارقتها ولا يقدر أن يقال فيه ، إنه كان لا يعلم حتى تعلَّم ،

---

(٢) شرح الفوائد للشيخ الأوحد : ص٢ ـ ط حجرية .

فإذا سمع خلاف ما عنده ردَّهُ بمثله من كلامهم فترضى نفسه بالبقاء على الحالة الأولى ، واما إذا ذكرت أشياء لم يسمع بها ولم تذكر قط ، فلا يكون له سبيل إلى فهمها ، فضلاً عن ردِّها ، لأن نفسه ترتاع إذا سمع شيئاً غريباً ، فتطلب الاطلاع عليه مع الغفلة عن معارضته ، فيكون حَ[٣] قلبه فارغاً ، فيتمكن من هذا الأمر الجديد الذي فيه نجاته ، وهذا معنى قولي أن أروعهم بعجائب من المطالب »[٤] .

فتبين لدى القارىء الكريم ، بأن انتهاج الشيخ الأوحد ـ أعلى الله مقامه ـ بمنهج مخالف لغيره ، وانفراده باصطلاحات وعبائر جديدة لم تذكر في كتاب ولم يجرِ ذكرها في خطاب ، انما ذلك لرفع حدة العصبية والتقليد الأعمى ، لأنهم لا ينظرون إلى ما قيل ، بل إلى من قال ، وهذا خلاف تعليم أهل البيت لنا ، بأنهم علمونا بأن نأخذ الحكمة ولو من فم الكافر ..

ففي الحقيقة ان حجاب العصبية والحسد والتقليد القائم على غير بصيرة ، يمنع كثيراً من الحقائق ، سواء منها الدينية أو الدنيوية .

ونحن ـ ولله الحمد ـ في هذا العصر المتطور ، الذي يقبل أية فكرة.تقوم على أساس الإستدلال المحكم والبرهان القاطع ، فعندما نسمع من الغير بأن الشيخ أحمد الإحسائي يعتقد في المعاد بأن للإنسان جسمين وجسدين ، جسد عنصري وجسد أصلي ، فالعنصري يضمحل ويفنى واما الأصلي فهو الباقي الذي يخلد إما في الجنة وإما في النار ، أو سمعنا من الغير بأن الشيخ يقول بأن أهل البيت (ع) هم العلل الأربع للوجود ، العلة المادة والصورية والفاعلية والغائية ، أو سمعنا ان الشيخ يقول بأن الإنشقاق للقمر ليس جرم القمر بل ضوء القمر فحسب .

ينبغي لنا إذن كمسلمين مؤمنين موالين لأهل البيت (ع) ونعتقد بيوم الحساب ونؤمن بوجود الجنة والنار ، ينبغي ان نسأل عن قول الشيخ وعن دليله

---

(٣) حَ بمعنى حينئذٍ .

(٤) شرح الفوائد للشيخ الأوحد : ص٣ ـ ٤ .

في ذلك ، فنسأل أهل الديار ، فأهل البيت أدرى بالذي فيه ، لا أن نسأل أصحاب القيل والقال[٥] .

فالعلم لم يزل في تطور وابداع وابتكارات جديدة في كل يوم وفي كل ساعة . انظر إلى الغرب وما غزوا ! انهم غزوا الفضاء بمراكبهم الفضائية ، انهم شطروا الذرة ، انهم صنعوا العقل الآلي ، صنعوا الطائرات والسيارات والقطارات والسفن ، وصنعوا ما صنعوا !

ونحن المسلمين المؤمنين ، نغط في سبات عميق ، فبدلاً من أن نتكاتف ونتماسك ، ونكون كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، يُكفر أحدنا الآخر ، ويلعن بعضنا بعضاً .

عزيزي الفاضل ، ليس كل ما لا تفهمه ولا تدركه ، تحكم عليه بالخطأ والتضليل والفشل ، وإلاّ يسلتزم هذا الحكم ، الحكم على جميع الإختراعات والإبتكارات ، وعلى العلوم الغريبة علينا وعلى افهامنا . انها خرافة باطلة ، وهذه النظرة ـ على ما أعتقد ـ نظرة جاهل ، ليس له من العلم والمعرفة من سبيل .

فإذا اشتبه عليك أمرٌ فردّوه إلى مُحكمهِ ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً .

ـ بعض الآراء التي خالف بها الشيخ الحكماء :

يجدر بنا في هذا الملخص ان نسوق بعض الآراء التي انفرد بها الشيخ الأوحد عن غيره من الفلاسفة . فمنها :

ـ الوجود والماهية :

مطلب الوجود والماهية من المطالب التي اضطربت فيها أقوال الفلاسفة العرفانيين . وكل قد أدلى دلوه . فاختلفت آراؤهم وتشتتت أفكارهم

---

(٥) من أراد الإطلاع على هذه الشبهات التي وجهت إلى الشيخ الأوحد ، فعليه مراجعة كتاب (إحقاق الحقّ) للمولى الميرزا موسى الحائري الإحقاقي ، علية الرحمة .

وأنظارهم ، وذلك لعدم رجوعهم إلى مصدر واحد تشريعي وهو وحي السماء .

فمعنى الوجود هو المادة الكلية والماهية ، مأخوذة من ما هو ؟ أي ما هو ذلك الشيء ؟ فعندما ترى شبحاً من بعيد وأنت لا تعلم ما هو ، تقول ما هو ذلك الشبح البعيد ؟ هل هو إنسان ؟ أم حيوان ؟ أم ماذا ؟ فعندما يقترب منك تعرف ماهية ذلك الشبح . فالماهية مكونة من الفعل والجنس ، مثل ماهية الإنسان الحيوان الناطق ، وماهية الديك ، الحيوان الصائح ، وماهية الفرس الحيوان الصاهل وماهية الحمار في الحيوان الناهق ، وهلمج . . .

فالماهية هي التي تميز الأغيار ، تميز هذا عن ذاك ، فاختلاف آراء الفلاسفة من الوجود والماهية من جهة ، هل الحق تبارك وتعالى خلق الوجود بالأصل ، والماهية عرضت على الوجود ، يعني ان الله تعالى ، حينما أراد أن يخلق زيداً من الناس هل خلق وجوده فقط وماهيته ، أي الحيوانية والناطقة وجدت بوجود الوجود ، ومعنى ذلك أن الله لم يخلق الماهية بخلق وجعل[٦] خاص .

فذهب أكثر الفلاسفة إلى اصالة الوجود واعتبارية الماهية ، يعني ان الله تبارك وتعالى خلق الوجود أولاً وبالذات . أما الماهية من الحيوانية والناطقية عرضت على الوجود فهي غير مخلوقة ، بل المخلوق هو الوجود. قال صاحب المنظومة :

إن الوجود عندنا أصيلُ دليل من خالفنا عليلُ

فماهية زيد من الحيوانية والناطقية ، وماهية الفرس من الحيوانية والصاهلية ، وماهية الديك من الحيوانية والصائحية وهلمج . . كل هذه الماهيات عند أصحاب هذا الرأي غير مجعولة ومخلوقة بخلق خاص بدليل انها وجدت بجعل الوجود وهي تابعة ومساوقة له في الخارج ، بدعوى انه لا يمكن ان ينفك الوجود عن الماهية في الخارج ، ولا الماهية عن الوجود .

---

(٦) الجعل : أي الخلق .

وذهب آخرون من الفلاسفة إلى اصالة الماهية واعتبارية الوجـود . يعني ان الأصـل الأصيـل في الخلق والجعـل هي المـاهيـة ، هي المخلوقـة أولاً وبالذات . بدليل انها هي الأصل في التمايز والتغاير ، فبالماهية يُعرف زيد من عمرو ، والحيوان عن الجماد . فعلى ذلك بنوا أمرهم ، بأن الله تبارك وتعـالى لم يخلق ويجعل الوجود بجعل وخلق خاص ، بل المجعول عندهم هي الماهية فقط ، وأما الوجود فهو تابع ومساوق لها .

واختـار بعض الفلاسفـة التوسط بين المـذهبين ، وقال ان المـاهيات لا موجودة ولا معدومة فراراً من المفسدتين .

واعتقد جمٌّ من المتكلمين على أن الماهيات موجودة في الذات البات الله تبارك وتعالى ـ والعياذ بالله ، فالله لم يخلق الماهيات بل أظهرها من غيب ذاته إلى ساحة الأعيان الثابتة فهي طلبت الخروج فأخرجها من الذات والأزلية ، إلى الحدوث والكثرات .

فقيل لأصحاب هذا الرأي كيف تقولون ، إن الماهيات موجودة في الذات البات ثم خرجت إلى الأعيان ، والحال ان الذات البات واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وهذا القول يستلزم الولادة والكثرة في الذات .

أجابوا عن هذا الإشكال بأن وجود ماهيات الخلق ليس فيها أي تكثر في الذات ، بل هي مندرجة ومندمجة في الذات اندراج اللوازم في الملزومـات ، كاندراج الحرارة في النار ، والبرودة في الماء ، فهي كامنة في الـذات ككمون الشجر في النواة . فعلى ذلك بنوا أمرهم على ان اعتبار الماهيات في الذات لا يقتضي التكثر والتوالد .

وعلى مـا أعتقد ، ليس هنـاك من مسلم يعتقد بهـذا الرأي لمـا فيـه من المفاسد الخبيثة ، وذلك ان هذه الماهيات المزعومة بأنها في الـذات ، إما أن تكون قديمة أو حادثة .

فإن قالوا بقِدَمها ثبت تعدد القدماء المتفق جميع العقلاء على بطلانه . وإن قالوا بحدوثها ، اقتضى ان يكون الحق محلاً للحوادث والمخلوقات ، وهنا

تنقلب الحقائق من كون القديم حادثاً والحادث قديماً وهذا أيضاً أخس من أخيه .

وزيادة على ذلك تولد الذات البات الأحد وهو يقول تبارك وتعالى : ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾ .

وهنا كلام طويل عن مطلب الوجود والماهية عند الحكماء والفلاسفة والمتكلمين والمشائيين وغيرهم ، لا حاجة إلى ذكره لأنه في الحقيقة كسراب بقيعة يحسبهُ الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عندهُ فوفاه حسابه والله سريع الحساب .

ـ رأي الشيخ الأوحد في الوجود والماهية :

ذهب الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي ، إلى العيون الصافية ، كما قال الإمام علي (ع) ما معناه ، ذهب من ذهب إلى غيرنا ، إلى العيون الكدرة يفرغ بعضها من بعض ، وذهب من ذهب إلينا ، إلى عيون صافية ، تجري بأمر الله لا نفاذ لها .

فالشيخ يعتقد بأصالة جعل وخلق الوجود والماهية معاً ، أي انه يقول إن الوجود مخلوق ومجعول بجعل وخلق خاص ، والماهية مخلوقة ومجعولة بجعل وخلق خاص غير جعل وخلق الوجود ، بل كل من الوجود والماهية له جعل وخلق خاص . مستوحياً رأيه هذا من قول خالقه تبارك وتعالى : ﴿**جاعل الظلمات والنور**﴾ ﴿**الذي خلق الموت والحياة**﴾ ﴿**قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار**﴾ . ومن قول الإمام الصادق (ع) : « خلق الله الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها » .

فنقول ان هذه الماهيات ، إما أن تكون شيئاً أو لا شيء .

فإن قلنا بالثاني لزم عدم ترتب الآثار على اللاشيء ، فاللاشيء لا يمكن ان نصفه في الشيء أو نسميه بالشيء .

وإن قلنا بالأول أي إن الماهيات شيء ، نقول إن الشيء إما قديم أو

حادث ! قال الإمام الرضا (ع) : « وانما هو الله عزّ وجلّ وخلقه ، لا ثالث بينهما ، ولا ثالث غيرهما »[٧] .

فإن قلت بأن هذه الماهيات قديمة ، لزم تعدد القدماء ، وهذا باطل عقلاً ونقلاً .

وإن قلنا بحدوثها ، ثبت المطلوب ، أي ان الماهيات مخلوقة مجعولة بجعل وخلق خاص غير جعل الوجود .

نعم الوجود مقدم على الماهية في الايجاد ، تقديم رتبي لا زماني ، وإلاّ فكلاهما مخلوقان مجعولان بجعل وخلق خاص .

ـ حل شبهة :

الذين ذهبوا إلى أصالة الوجود واعتبارية الماهية ، استندوا على ان الماهية لا يمكن لها الإستقلال والإنعزال عن الوجود بأي وجه من الوجوه ، أو صورة من الصور . بل الماهية والوجود متساوقان ، لا يمكن لأحدهما أن ينعزل عن الآخر ، مثل الحرارة مع النار والزوجية مع الأربعة .

وهذا في الحقيقة اشتباه من عندهم ـ رحمهم الله ـ حيث إن الله تبارك وتعالى ، قد أخبر وأوحى وحياً على نبيه محمد (ص) بانعزال الماهية عن الوجود ، كما أخبر بانعزال حرارة نار نبي الله إبراهيم صلى الله على نبينا وآله وعليه السلام مع بقاء النار على حالها فجعلها برداً وسلاماً .

فانفكاك الماهية عن الوجود أمر منصوص عليه من الكتاب الكريم ، وكذا قوله تبارك وتعالى : **﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ، ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾** .

أمعن النظر إلى هذه الآية الشريفة وبخاصة إلى قوله تعالى : **﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾** أي ولو شاء الله سبحانه وتعالى ، أن يجعل أي يخلق الظل ، أي

---

(٧) عيون الأخبار . حديث عمران الصابي : ص١٤١ .

ظل الشمس ساكناً أي بدون الشمس ، فالله قادر أن يخلق الظل بدون شمسٍ تدل عليه . مع العلم بأن الظل ملازم ومساوق للشاخص الواقف لدى الشمس . وقد أخبر سبحانه على ان الماهية ، أي الظل لها جعل أي خلق خاص . فالقول بعدم انفكاك وانعزال اللوازم عن الملزومات غير صحيح بل هو أمر مقدور عليه وجائز .

ـ مخالفة الشيخ الحكماء في الوجودات الذهنية :

تقرر عند الفلاسفة والمناطقة المتقدمين والمتأخرين ، على أن الوجودات الذهنية تنقسم إلى :

الوجودات الذهنية

واجب الوجود	ممكن الوجود	ممتنع الوجود
وجود الحق	وجود ما سوى الله	شريك الباري الذهني

فالشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي يرى خلاف هذا التقسيم ومما هم عليه . فرأيه في ذلك قوله : « قلت الفائدة الثانية في بيان معرفة الوجود . أقول يعني في بيان تقسيم ما يسمى هذا الاسم عند الطالبين لمطلق معرفته وبيان رسمه سواء كان لذاته أو لعنوانه . قلت : اعلم ان الذي يعبر عنه عند الطلب معرفة الوجود . أقول : يعني إذا أريد رسمه بشيء يعرف به عند الطلب سواء كان بحده أو رسمه أم بتعريف عنوانه كما في الواجب ، لأنه المجهول المطلق والواجب الحق ولا يعرف إلّا بما وصف به نفسه . وإذا وصف نفسه كان ذلك الوصف من جملة مخلوقاته وهو تعالى لا يعرف بمخلوقاته ولا بشيء من صفاتهم . قلت ثلاثة أقسام . أقول : وجه الحصر في الثلاثة أن الشيء إما صانع أو صنع أو مصنوع . فالصانع هو الواجب تعالى والصنع فعله والمصنوع ما سوى الله سبحانه من مصنوعاته »[٨] .

فرأى الشيخ الأوحد في وجود الحق ، لا كما ذهب إليه الفلاسفة من جعل

---

(٨) شرح الفوائد : ص١٥ .

وجود الحق قسيماً لوجود الممكن والممتنع . فوجود الحق تبارك وتعالى عند الشيخ ، انما ذلك على العنوان والظهور والتجلي للخلق . أما وجوده الذاتي فلا يكون داخلاً في التقسيم لذا قال سواء كان لذاته كما في الممكن أو لعنوانه كما في الواجب . فالمعروف عند الخلق من وجود الحق ، انما ذلك معرفة حادثة مخلوقة ، فالمعروف عند الخلق من معرفة وجود الواجب تعالى ليست معرفة وجود الذات البات . لان وجوده عين ذاته ، فمعرفة الوجود تستلزم معرفة الذات والاحاطة بها ، وهم لا يحيطون به علماً . فمفاد حصر الشيخ الوجود ثلاثة أقسام ، إلى صانع وصنع ومصنوع ، انما ذلك عند طلب الوجود لا احاطة وجود الحق تبارك وتعالى .

فاطلاق لفظ الوجود على الله تبارك وتعالى يقع على العنوان والظهور من الآيات في الآفاق والأنفس . قال تعالى : ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ .

وعلى ذلك لا يكون وجود الحق داخلاً في التقسيم ، من تقسيم الوجودات إلى واجب الوجود وممكن الوجود وممتنع الوجود . وذلك لعدم وجود جهة جامعة بين القديم والحادث . فوجوده تبارك وتعالى غير خلقه . قال الإمام الرضا (ع) « كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه »[٩] . فقولنا : وجوده تعالى غير وجودنا لا يقع التحديد على الواجب تعالى ، بل يقع على ما سواه من الخلق ، لأن الخلق كلهم آثاره وصفاته والأثر لا يتعدى رتبته . قال الإمام علي (ع) : « انما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها »[١٠] . فلا يمكن للمخلوق أن يعرف وجود الخالق بأي نحو من الأنحاء ، لذلك لا يمكن له جَعْل وجود الواجب قسماً من الأقسام المذكورة سابقاً . فالمعروف من وجود الواجب معرفة حادثة مخلوقة مصنوعة ، لا معرفة وجود الواجب تبارك وتعالى .

---

(٩) عيون الأخبار : ص١٢٤ .

(١٠) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ .

أما معرفة النفس المشارة في حديث الإمام علي (ع) : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »[11] . فمعرفة الرب بما تجلى لها بها من كشف السبحات العارضة للنفس الناطقة يظهر المثال الملقى في هوية ذلك العبد ، وهذا المثال ليس كمثله شيء . فلا تظن أن قولنا بظهور المثال عند النفس الناطقة بعد تجردها السبحات هو ظهور الحق بذاته وحلوله للعبد ، فهذا القول تقوله الصوفية ، بل المراد أن الحق يتجلى للخلق بالخلق . وذلك مثال تجلي الشاخص للمرآة بالمرآة ، ومع ذلك لا يدخل الشاخص في المرآة ولا المرآة داخلة في الشاخص . فالشاخص تجلى للمرآة بالمرآة ، لذا يكون ظهور الشاخص في المرآة على قدر صفائها وكدورتها واعوجاجها .

وهذا المثال الملقى في هوية العبد هو من المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، كما قال الإمام الحجة : « وبمقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها ، إلّا انهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك »[12] .

فهذه العلامات والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، هي الدالة والمعبِّرة عن جميع صفات الحق سبحانه . فهي لا فرق بين الحق وبينها في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات . وذلك مثال زيد القائم . فزيد غير قيامه ، لكن لا يعرف زيد إلّا بالقيام أو القعود أو المشي أو الكتابة ، وهلمج . . . فلولا هذه الظهورات من القيام والقعود وو . . . لم يُعْرَفْ زيد . فهذه الظهورات يطلق عليها مقامات وعلامات زيد ليعرّف بها غيره ، فلا فرق بين زيد ومقاماته من القيام والقعود في التعريف والتعرف . إلّا أن هذه المقامات والعلامات التي يُعرف بها زيد عبد من عبيده وخلق من خلقه . فزيدٌ هو الذي أحدث[13] وخَلق القيام والقعود والكتابة والمشي حتى سُمِيَ بها . فاطلاق لفظ القائم القاعد على زيد ، لا تقع هذه الألفاظ إلّا على ظهوراته ومقاماته التي ملأ

---

(١١) غرر الحكم .

(١٢) دعاء الإمام الحجّة (عج) في أدعية شهر رجب .

(١٣) أحدث بمعنى خلق .

بها جميع سماواته وأرضه ، أي جميع خلقه ، فاطلاق لفظ العالِم على زيد لا يكون إلاّ بظهوره بالعلم ، وقبل الظهور لا يقال له عالم ، وكذا إطلاق لفظ النجار عليه لا يكون إلاّ بظهور النجارة ، واطلاق لفظ الكاتب عليه ، لا يكون إلاّ بظهور الكتابة منه وهلمج . . .

فالله تبارك وتعالى حينما نطلق عليه لفظ الوجود ، لا يقع إلاّ على المقامات والعلامات المشار إليها في الدعاء المذكور سابقاً . فجميع الألفاظ والأسماء النازلة من الحق كلها تطلق على عناوينه ومقلماته . فعندما رأينا الآفاق والأنفس قائمة على العلم والحكمة ، قلنا الله عالم ، ولما رأينا القدرة والعظمة والسلطان في الآثار ، قلنا الله قادر قوي ، ولما رأينا الحياة في الآثار قلنا الله حي . وهكذا . وكذلك لما رأينا الموجودات مما سواه سبحانه قلنا موجود ، فلفظ الله موجود لا يقع على ذاته تعالى ، بل يقع على مقاماته وعلاماته وعناوينه الدالة عليه ، تبارك وتعالى ـ صفة استدلال لا صفة تكشف عنه .

فقول الشيخ الأوحد بأن الموجود ثلاثة أقسام : إما صانع أو صنع أو مصنوع ، يعني ذلك ، طلب الوجود ، سواء بذاته كما في الصنع والمصنوع أو بعنوانه كما في الصانع لذا عبر بالصانع ليعلم أننا ما علمنا الصانع إلاّ بالصنع .

ـ امتناع جعل الواجب تعالى قسيماً :

وعلى ما تقدم لا يكون وجود الواجب الذاتي داخلاً في التقسيم ، وذلك لاستلزام وجود جهة جامعة تدعى بالمقسم ، تشمل القديم والحادث .

فهذا المقسم الذي قسَّم الموجود إلى الواجب والممكن والممتنع ، إما أن يكون قديماً أو حادثاً ، إذ لا ثالث بينهما ولا ثالث معهما .

فإذا قلتم بالأول اقتضى تعدد القدماء المتفق على بطلانه جميع الملل والنِحَل .

وإن قلتم بالثاني ، أي أن هذا المقسم الذي يشمل القديم والحادث حادثاً ، لزم إحاطة الحادث بالقديم الأزلي ، وهذا أيضاً أفسد من أخيه .

فهو تعالى ليس فوق شيء ولا فوقه شيء ، ولا تحت شيء ولا تحته شيء ولا على شيء ولا عليه شيء ، ولا يَنْسِبُ إلى شيء ولا يُنْسَبُ إليه شيء ، ولا يحل شيئاً ولا يحله شيء . كما أنه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قال الإمام علي (ع) : « ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدَّه فقد عدّه ، ومن قال « فيم » فقد ضمّنه ، ومن قال « علام ؟ » فقد أخلى منه . كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنه ، وغير كل ذلك لا بمزايلة »(١٤) .

ثانياً : على فرض تقسيم الموجودات إلى واجب الوجود ، وممكن الوجود وممتنع الوجود ، يقتضي من هذا التقسيم ـ من المقسم والأقسام ـ ما به الإشتراك وما به الإمتياز .

ما به الإشتراك من المقسم والأقسام هو الوجود ، وما به الإمتياز هو امتياز كل وجود عن الآخر . فوجود الواجب غير وجود الممكن ، والممكن غير وجود الواجب ، وهو غير وجود الممتنع على حسب الفرض .

وذلك يقتضي التركيب مما به الإشتراك ومما به الإمتياز . فلو فرضنا ان وجود الواجب داخل في التقسيم يكون الواجب مركباً مما به الإشتراك وهوالوجود الجامع بين القديم والحادث ، ومما به الإمتياز ، وهو أن وجود الواجب غير وجود غيره . وكل مركب محتاج إلى من يركبه ، وكل محتاج حادث . إذن هذا الفرض باطل .

ثالثاً : أننا لو قلنا أن الواجب تعالى قسيم الممكن والممتنع ، يستدعي من ذلك عدم دلالة الآثار على مؤثرها وهو الله تبارك وتعالى . لأن قسيم القسم ضدٌ له ، فشرط التقسيم أن يكون كل قسم ضد قسيمه ، وصدورالضد من الضد محال ، أي أننا لو فرضنا أن وجود الواجب قسيم للممكن اقتضى ذلك عدم

---

(١٤) نهج البلاغة ـ الخطبة الأولى .

صدور الممكن[١٥] من فعل الواجب وعدم خالقيته لهذا المخلوق وهذا باطل عقلاً ونقلاً . فالاسم ضد الفعل والفعل ضد الاسم والحرف . وهذا يعني أن تكون هناك بينونة عزلة بين الله وخلقه ، وليس هناك بينونة عزلة بين الحق وخلقه ، بل هنا بينونة صفتيه ، أي أن فعل الله هو الموصوف والخلق كله صفاته وأثره .

فوجوده تبارك وتعالى عين ذاته لا يُحاط ولا يدرك بأي نحو من الإدراكات والمشاعر . فالخلق مهما بلغ فهو لا يتجاوز رتبته ومقامه في الوصف فاطلاق لفظ الوجود عليه سبحانه وتعالى انما ذلك على العنوان والظهور لا أكثر . قال الإمام علي (ع) : « ما وحّده من كيّفه ، ولا حقيقة أصاب من مثّله ، ولا إياه عَنَى من شبهه ولا حَمَدَه من أشار إليه وتوهمه »[١٦] .

ـ الخلاصـــة :

ان الشيخ أحمد لا يقول بتقسم الوجودات إلى واجب الوجود وممكن الوجود وممتنع الوجود لاستلزام ذلك المفاسد المذكورة . بل يقول ان الله تعالى موجود وغير الله موجود . لكن ليس هناك اشتراك لا لفظي ولا معنوي ولا حقيقة ومجاز بين وجود الحق الذاتي ووجود غيره فوجود الخق الذاتي غير داخل في التقسيم لانه عين ذاته واما قولنا الله موجود انما ذلك يقع على العنوان والظهور الحادث لا القديم فلولا الموجودات المخلوقة ما علمنا انه تعالى موجود . إذاً ليس اشتراك بأي نوع من أنواع الإشتراك بين وجود الله تعالى القديم وبين ما سواه أبداً .

ـ رأي الشيخ في ممتنع الوجود :

ذكرنا سابقاً أن أكثر الفلاسفة والمناطقة ذهبوا إلى تقسيم الوجودات الذهنية ، إلى واجب الوجود ، وممكن الوجود وممتنع الوجود . فيعنون بواجب

---

(١٥) الممكن هو المخلوق يمكن ان ينوجد ويمكن أن ينعدم .

(١٦) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٨١ .

الوجود هو الله تبارك وتعالى ، وممكن الوجود هو ما سوى الحق من مخلوقاته وآثار فعله ، وممتنع الوجود يقصدون منه شريكاً لله تعالى موجوداً في الأذهان . فهذا الشريك المتَصَوّر في الأذهان لا وجود له في الخارج ، وعلى هذا التقسيم اتفقت كلمتهم واطمأنت آراؤهم ، من دون عرض هذا التقسيم على القرآن الكريم أو روايات أهل البيت عليهم السلام .

اما الشيخ أحمد الإحسائي فإنه قد خالف القوم في تقسيمهم هذا وذلك لعدم وجود رواية أو آية قرآنية تسند كلامهم من وجود شريك لله تعالى في الأذهان .

فالشيخ الأوحد وعلى حسب ما طالعنا في كتبه قد تبرأ تبرءاً شديداً من مقولة القول بشريك الباري ، ففي أغلب كتبه فنّد هذا الرأي هو وتلامذته كالسيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ وميرزا حسن المشهور بكوهر والميرزا موسى الحائري وغيرهم من تلامذه الشيخ والناهجين نهجهُ ، وكلهم قد تبرأوا من هذا الرأي .

فجدير بنا في هذا المجال أن نعرض بعض الصور والردود التي قدمها الشيخ وتلامذته من القول بشريك الباري . فمنها :

ـ الإجتهاد في القول بشريك الباري :

كل الآيات القرآنية والأحاديث المعصومة الصادرة عنهم (ع) بريئة من القول بشريك الباري . فتقسيم الموجودات الذهنية إلى واجب الوجود وممكن الوجود وممتنع الوجود ، اجتهادٌ من بعض الفضلاء من عند أنفسهم .

قال الإمام الرضا (ع) : « إنما هو الله عزّ وجلّ وخلقه ، لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما »[١٧] .

فالرواية صريحة بعدم وجود قسم ثالث للموجود غير الحق وخلقه . وقول

---

(١٧) عيون الأخبار ـ حديث عمران الصابي : ص١٤١ .

الإمام عليه السلام « لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما » دليل واضح وبرهان قاطع على خروج شريك الباري عن التقسيم .

وكذا الآيات القرآنية كلها شاهدة على عدم وجود قسم ثالث غير الله ، عزّ وجلّ وخلقه ، فإن لم ينطق القرآن تصريحاً بعدم وجود قسم ثالث ، فقد أبان تلويحاً بذلك .

فالقول بوجود قسم ثالث بينهما وغيرهما اجتهاد مقابل النص من تشريع العقل وحده .

ـ أصالة الوجود الخارجي وانتزاعية الوجود الذهني :

اتفق العلماء على أن الأصل الأصيل في الوجود بما هو موجود من ماهية ووجود . الوجود الخارجي ، من سماواته وأرضه وأنسه وجنه وجماده وحيوانه وهلمج من الوجودات الخارجية .

فالتصورات الذهنية الموجودة في أذهاننا من صورة السماء الموجودة في أذهاننا ، وصورة زيد وعمرو والباب والبقر والنبات ، الموجودة في أذهاننا كل هذه الصور منتزعة من الخارج . حيث لا يمكن لأحد أن يتصور أمراً غير موجود في الخارج أبداً .

فلو كلّفت طفلك الصغير الذي يدرج في السنة السابعة من عمره برسم أجهزة الكمبيوتر ، وأدوات وعدد ركاب المركبة الفضائية ، وما تحتوي عليه من أزرار وكمبيوترات ، فالنتيجة من هذا التكليف ، هو أن طفلك ، إما أن يرسم بدل المركبة الفضائية سيارة ، أو يقول لك لا أعرف ذلك يا أبتي . فهذا العجز الصادر من طفلك ناتج من عدم إحاطته واطلاعه على هذه المركبة خارجاً فكيف يرسم باطنها ؟

فالإنسان مهما شرد بتفكيره لا يتجاوز معلوماته المعلومة ومقامه المحدد . فلا يمكن للإنسان أن يتصور أمراً ليس له وجود في الخارج أصلاً . فكل تصورات الفرد مستوحاة من الخارج فإذا انعدم الخارج انعدم التصور الذهني .

فشريك الباري المتصور في الذهن له احتمالان هما :

إما أن يكون هذا الشريك لله تعالى موجود في الخارج حتى يصح التصور أو غير موجود . فإن قلنا بعدم وجوده نُفي التصور لهذا الشريك المزعوم وذلك لعدم انتزاع الذهن من الخارج وكل ما لا وجود له في الخارج لا وجود لـه في الذهن بالأصل .

وإن قلنا بوجود هذا الشريك لله تعـالى في الخارج ـ ونحن الخلق ـ قـد تصورنا ما هو موجود في الخارج فهنا تصـح القضية ، ويسلم اللفظ لكن هـذا الإعتقاد والقول به يخرج المسلم عن الدين ، ويكذب سيد المرسلين في دعواه بأنه لا شريك لله تعالى في الخارج .

لا يقال ـ اننا نحن البشر ـ يمكن لنا أن نتصور أموراً وصوراً غير مـوجودة في الخارج بل يستحيل وجودها . وذلك مثل تصورنا بحراً من زئبق أو رجلاً له مائة رأس أو العنقاء ، وكل هذه التصورات التي نتصورها بأذهاننا لا وجود لهـا في الخارج ولا أحد يقول بوجودها على الإطلاق .

لأنا نقول هذا الدليل إشتباه من بعض الفضلاء حيث إنهم لم يتفطّنوا إلى أن الذهن خفيف التصور ، فيمكن له أن يجمِّع صـوراً مختلفة فيـركب بعضها على الآخر ، بدليل أن البحر موجود والزئبق موجود في الخارج فلا أكثر من أن الذهن قد جمّع بين البحر والزئبق في الذهن حتى صار بحراً من زئبق ، وكـذا الرؤوس والرجل كل واحد منها موجود فـالذهن قـد ألَّف بين الرؤوس والـرجل حتى صار رجلاً له ، مائة رأس .

ففي الحقيقة والواقع أن الذهن لم يأتِ بشيء جديد غير ما هو موجود في الخارج . فالتصور المزعوم بأن بحراً من زئبق أو رجلاً له مائة رأس أمر موجود في الخارج غير معدوم .

فالقول بأننا ـ نحن البشر المخلوقون ـ يمكن لنا أن نتصور أموراً كثيرة غير موجودة في الخارج ، إذاً يمكن لنا تصور شريك لله تعالى في الذهن الغير موجود في الخارج فهذا اشتباه من بعض الفضلاء . والصحيح انه لا يمكن للذهن أن

يتصور أمراً غير موجود في الخارج .

ـ مطابقة المفهوم المصداق :

إن المعاني تنقسم باعتبار وجودها إلى قسمين : المفهوم والمصداق . فالمفهوم هو ما موجود في الذهن ، والمصداق هو ما موجود في الخارج ، مثل النار ، فإن مصداق النار هو الوجود الخارجي لها ، ومفهوم النار في أذهاننا هي الحرارة والاحراق ، وعلى ذلك يجب ان يكون بين المفهوم والمصداق الخارجي من المطابقة والموافقة ، فلا يمكن أن يكون المفهوم للنار الموجودة في أذهاننا بارداً ، والمصداق الخارجي لها حاراً ، فهنا تكذب القضية .

فمفهومي لزيد بالعلم يجب أن يكون مصداق زيد الخارجي عالماً . فلو كان المفهوم لزيد بالعلم ومصداقه انه جاهل فلا يسمى المفهوم مفهوماً . وكذا المصداق مصداقاً . فالمفهوم مفهومٌ بانطباقه على مصداقه وكذا المصداق مصداق بانطباقه على مفهومه . وخلاف ذلك لا يسمى المفهوم مفهوماً والمصداق مصداقاً .

فالمفهوم المتصور عندنا لشريك الباري في الذهن ، إذا كان منطبقاً على مصداقه الخارجي يسمى مفهوماً . وإن لم يكن منطبقاً على مصداقه الخارجي يسقط التصور وتكذب القضية ولا يصح ترتب الآثار على اللاشيء . فمفهوم شريك الباري باتفاق ليس له مصداق في الخارج ومن لم يكن له مصداق في الخارج لا يمكن تصوره واعتبار مفهوميته أصلاً .

ـ صحة القضية الحملية :

يعتبر في صحة القضية الحملية عدة ضوابط وشروط يجب توفرها في صحة القضية الحملية حتى تكون صالحة للنفي والإثبات .

فالضوابط التي تراعي في القضية الحملية وبدونها تسقط وتهمل القضية ، هي وجود المحكوم عليه والمحكوم به ، والحكم ، أي النسبة بين المحكوم عليه والمحكوم به ، وذلك مثال : زيد قائم ، وخالد ليس بصالح . فالمحكوم

عليه في القضيتين هما زيد وخالد والمحكوم به القيام في الأولى وعدم الصلاح في الثانية .

والحكم أو النسبة بين القضية الأولى هي نسبة القيام لزيد وفي الثانية عدم الصلاح لخالد .

فعند توفر الشروط والضوابط للقضية الحملية ، يمكن لنا التصديق والتكذيب والأخذ والرد . كما أنه يمكن لنا أن نرتب آثاراً على هاتين القضيتين .

وأما مع عدم توفر بعض شروط القضية تنتفي وتسقط القضية ، مثل قولك المعدوم ليس بموجود ، فهنا تفسد القضية لنقصان أحد أركانها وهو المحكوم عليه غير موجود بل أمر عدمي ، والأمر العدم لا يمكن أن تسند إليه حكم ثبوتي أبداً . فليس بموجود ليس في محله ، لأنك في هذه الحالة تحصيل للحاصل تنفي أمراً منفياً[١٨] .

فالقول بشريك الباري ممتنع أي معدوم كتحصيل حاصل . كما قلنا من قبل : المعدوم ليس بموجود .

إذن القول بشريك الباري ممتنع قول ساقط من أصله ، ومنفي من ركنه ، فكيف نجعله قسيماً للممكن والواجب على حسب الفرض ؟

لا يقال إن المنفي والمعدوم من شريك الله انما هو في الخارج ، اما ما هو موجود في الذهن فهو أمر وجودي متحقق ، فنحن ننفي ذلك الموجود في الذهن وعلى هذا تصح القضية .

لأنا نقول : إن هذا الشريك المزعوم في الذهن إما أن يكون قديماً أو

---

(١٨) انه قد يرد على هذا بامكان صحة القضية الحملية السالبة دون الموجبة كقولنا : أب عيسى بن مريم عليه السلام غير موجود نقول إن مفهوم الأب موجود في الذهن بانتزاعيته من الخارج كما قلنا من قبل ، فالأب موجود ومفهوم الأب أيضاً موجود . فليس الأب أمر عدمي في الخارج ولا في الذهن . وهذا خلاف شريك الباري فهو غير موجود في الخارج ولا في الذهن كما ذكر .

حادثاً ، إذ لا ثالث غيرهما .

فإن قلتم بالأول ـ والعياذ بالله ـ لزم أن يكون لله شريك متحقق في أذهاننا ، فالقول بوجود شريك لله تعالى في أذهاننا وباطننا يخالف ما جاء به الحق على لسان رسوله محمد (ص) لأنه قد أخبر سبحانه على أنه لا يعلم أن له شريكاً بقوله تعالى : ﴿**أم تنبئونه بما لا يعلم في السمٰوات والأرض**﴾ . فالله سبحانه قد نفى علمه تعالى بوجود شريك له في ملكه من السمٰوات والأرضين ، وما هو موجود في أذهاننا وأسرارنا أمر معلوم لدى الله سبحانه بقوله جل وعلا : ﴿**واسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ .

فالتصورات والتخيلات التي نضمرها كلها معلومة عنده تعالى ، وكل معلوم هو ما سواه ، وكل ما سواه مخلوق محتاج ضعيف ، فهذا التصور المزعوم بأنه شريك لله تعالى هو ليس بشريك ، بل هو أمر مخلوق حادث لله تبارك وتعالى ، واطلاقنا ـ نحن البشر ـ عليه بشريك لله ﴿**إن هي إلاّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان**﴾ ، قل سموهم ما لكم كيف تحكمون .

فالمخلوق مهما شرد وتاه بفكره لا يتجاوز رتبته ومقامه ، فكل تصورات المخلوق مخلوقة مثله مردودة عليه . قال الإمام الباقر (ع) : « كلما تصورتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم » .

وقال الإمام علي (ع) : « إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها »[١٩] .

فكل تصور يتصوره المكلف سواء طابق الخارج أم لم يطابقه فهو مخلوق مثله . قال الإمام الرضا (ع) لما سئل عن علّة خلق الله تعالى للخلائق على أنواع شتى ، قال : « لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز ، فلا تقع صورة في وهم ملحد ، إلاّ وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً ، ولا يقول قائل : هل يقدر الله

---

(١٩) نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ .

عزّ وجلّ على أن يخلق على صورة كذا وكذا ، إلاّ وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه ، أنه على كل شيء قدير »[٢٠] .

وإن قلتم بالثاني أي ان هذا المتصور في الأذهان حادث لزم المطلوب فأنت أيها المتصور لشريك الباري انما تصورت مخلوقاً مثلك لا غير ذلك .

لا يقال : إن النفي دليل الاثبات ، والله تعالى قد نَفَى الشريك عنه ، بقوله : ﴿شهد الله أنه لا إله إلاّ هو﴾ ، فالله تبارك وتعالى قد نَفَى الشريك عنه ، ونفي الشريك يعني أنه كان موجوداً ثم نُفي .

لأنا نقول : إنّ النفي المشار إليه في الآية الشريفة والمروي عن أئمة الهدى عليهم السلام ، ليس نفياً لإله موجود متحقق في الخارج أو في الذهن ، بل النفي موجه إلى ما كان يعتقده المشركون في أذهانهم وخيالاتهم وضمائرهم من أن لله شريكاً ، فالنفي « بلا إله » على ما يعتقده المشركون من عقيدة باطلة مجتثة ما لها من قرار من كون الأصنام والشمس والقمر وبقية المعبودات المخلوقة لله تعالى ، آلهة وشركاء مع الله تعالى . فالآية الشريفة أرادت أن تكنس ما هو موجود عند المشركين من عقيدة باطلة لا تنفي اللات والعزى وبقية الأصنام ، لأن هذه المعبودات من دون الله كلها أمور موجودة متحققة في ملكه تعالى ، فكيف ينفي أمراً موجوداً ؟ فهنا يحصل العبث لله ـ والعياذ بالله ـ .

بل النفي جاء لكنس العقيدة التي يعتقدها المشرك بأن هذه الأصنام آلهة لله تعالى .

وذلك مثل قولك للمشرك الذي يعبد صنماً ما : يا أيها المشرك ؛ لا تعبد هذا الصنم المصنوع من الخشب مثلاً ، فلا إله إلاّ الله ، فقولك لا إله إلاّ الله للمشرك لا تعني من ذلك أن تنفي الصنم الخشبي فهو موجود . بل تنفي ما كان يعتقده هذا المشرك من عقيدة باطلة من كون هذا الصنم شريكاً لله تعالى ، فنفيك متوجه إلى كنس ما في ذهنية المشرك من ادعاء الشريك لله تعالى ، فرأى

---

(٢٠) عيون الأخبار : ص٣٤ .

الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي في الموجودات ـ رأي ـ أئمته (ع) كما قال الإمام الرضا (ع) : « وانما هـو الله عزّ وجـلّ وخلقه لا ثـالث بينهما ولا ثـالث غيرهما »[٢١] .

فالشيخ لا يرى بتقسيم الموجودات إلى ما ذهب إليه القوم ، فالمعدوم لا يكون قسيماً للموجود بأي نحو من الأنحاء .

ـ رأي الشيخ الأوحد في الإرادة :

اتفق العلمـاء الإلهيـون على أن الإرادة والمشيئـة من صفـات الحق سبحانه . ولكنهم اختلفوا : هل أن المشيئة والإرادة من صفات الـذات أم من صفات الأفعال ؟ فاضطربت أفكارهم وتشتتت أنظارهم ، وذلك لعدم رجوعهم إلى أمر جامع سماوي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فقبل أن نبدأ في بيان حدوث وقدم المشيئة والإرادة ، لا بـأس أن نعرف كلاً من الصفات الذاتية والفعلية وما ضابطهما .

ـ الصفـات الذاتيـة :

هي الصفـات التي لا يتوارد عليهـا النفي والإثبات ولا ضـد لهـا . مثـل السمع والبصر والقدرة والحياة والقدم . فكل صفة من هذه الصفات هي صفة ذاتية ، لانه لا يجوز أن تقول يسمع الله كذا ولا يسمـع كذا . قَـدِرَ على حمل النملة ولم يقدر على حمل العـرش ، وهكذا . . . لان الصفـات الذاتيـة كلها شيء واحـد . فهي عين الذات . فتكثـر الألفاظ من السمـع والبصـر والقـدرة وهكذا من باب الأسماء المترادفة المراد منهـا شيء واحد ، كقـولك للحيـوان الأسـد الموجـود في البريـة : غضنفر وسبـع وليث وعباس وحيـدر وهكـذا من الأسماء المترادفة المراد منها عند الإطلاق شيء واحد وهو الأسد المعروف في الصحراء .

---

(٢١) عيون الأخبار ـ حديث عمران الصابي : ص١٤١ .

ـ الصفـــات الفعليـــة :

وهي التي يتوارد عليها النفي والإثبات ، مثل شاء وأراد ، فيجوز لك ان تقول شاء الله أن يخلق سبع سماوات ولم يشأ أن يخلق عشر أرضين . أراد الله حب محمد وآل محمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ولم يرد حب الكفار . ورد في التنزيل ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ .

ـ آراء العلماء في الإرادة :

ذهب أكثر العلماء إلى قدم الإرادة والمشيئة ، وعدوها من صفات الذات ، مثل السمع والبصر والقدرة .

والبعض الآخر فسرها بالعلم بالأصلح ، وذهب آخرون إلى تفسير الإرادة بالعلم والقدرة على أنهم شيء واحد .

والحال أن الروايات الصادرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ، تنفي كون المشيئة هي العلم أو القدرة . فالمشيئة والإرادة غير العلم والقدرة .

فعن بكير بن أعْين أنه قال : « قلت لأبي عبدالله الصادق (ع) علمه ومشيئته مختلفان أم متفقان ؟ فقال (ع) : « العلم ليس هو المشيئة ، ألا ترى أنك تقول سأفعل كذا إن شاء الله ؟ ولا تقول سأفعل كذا إن علم الله » »[٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ولو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ فالجليل سبحانه يعلم كيف يذهب الوحي عن الرسول محمد (ص) ولكنه لا يشاء ولا يريد ذهاب الوحي عنه (ص) ، لما في ذلك من عدم الحكمة والمصلحة ، والله لا يخالف الحكمة والمصلحة .

ـ رأي الكتاب والسنّة في الإرادة :

رأي الكتاب والسنّة في الإرادة والمشيئة بأن كلاهما ناصان وقاطعان على حدوث الإرادة . فلا يوجد ثمة آية أو حديث يُشتم منه رائحة قدم الإرادة ، بل

---

(٢٢) الكافي : ج١ ـ ص١٠٩ ـ باب الإرادة .

الكتاب والسنّة كلاهما مملوآن بحدوث الإرادة والمشيئة . قال تعالى : ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ . وقال تعالى : ﴿**أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**﴾ . وقال سبحانه : ﴿**ولكن كره الله انبعاثهم**﴾ .

اما من السنَّة ، فعن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله (ع) أنه قال : « المشيئة محدثة »[٢٣] أي مخلوقة .

وروي عن صفوان بن يحيى قال : « قلت لأبي الحسن (ع) : « أخبرني عن الإرادة ، من الله ومن الخلق » . قال : فقال عليه السلام : « الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله تعالى فإرادته احداثه لا غير ذلك ، لأنه لا يُروِّي ولا يهمُّ ولا يتفكر . وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق ، فإرادة الله العفل لا غير ذلك ، يقول له كن فيكون بلا لفظ ، ولا نطق بلسان ولا همَّة ولا تفكّر ، ولا كيف لذلك ، كما أنه لا كيف له »[٢٤] .

وروى عاصم بن حميد ، عن أبي عبدالله (ع) قال : « قلت لم يزل الله مريداً ؟ قال : إن المريد لا يكون إلّا لمراد معه . لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد »[٢٥] .

فعلى رغم حكم وتأكيد الكتاب والسنّة على حدوث الإرادة والمشيئة يُؤَل البعض هذه الأحاديث الصريحة الواضحة على حدوث الإرادة ، بقوله : إن السائل لا يَسأل عن الإرادة القديمة من الإمام بل السائل يسأل عن المشيئة الحادثة ، فليت تأويل هذا الفاضل استند إلى آية أو حديث تصرف اللفظ عن الإطلاق إلى وجود إرادة قديمة . بل اسناد هذا الفاضل الذي أوّل الرواية بسؤال السائل عن الإرادة الحادثة دون القديمة إلى بشر مثله يصيب ويخطىء . فيا للمسلمين متى كان البشر أوثق من الكتاب والسنّة حتى يؤل كلام التشريع على

---

(٢٣) الكافي : ج١ ـ الحديث ـ ٧ ـ باب الإرادة .
(٢٤) الكافي : ج١ ـ الحديث ٣ .
(٢٥) نفس المصدر الحديث الأول .

كلام البشر ؟!!

وحيث أن البعض استوحش من إنكار هذه الروايات الدالة على حدوث[٢٦] المشيئة والإرادة فأوّل النصوص الدالة على حدوث وخلق المشيئة بقوله من أن لله ارادتين : قديمة أزلية وهي المدَّعاة ، وإرادة حادثة وهي المعنية في الكتاب والسنّة . فالقول بإرادة قديمة مقابل النصوص اجتهاد مقابل النص . بلا دليل وكل اجتهاد مقابل النص يُرمى به عرض الحائط .

ـ تقليد الشيخ أئمتهُ في الإرادة :

فالشيخ أحمد الإحسائي قلّد أئمتَهُ في القول بحدوث الإرادة والمشيئة قال : « ويجب الإيمان والإعتقاد بأنه سبحانه مريد ، لأنه سبحانه وصف نفسه بذلك . فلما وجدنا أن الإرادة لا تكون إلاّ والمراد معها لأنها لا تنفك عنه ، علمنا بأنه تعالى وصف نفسه بأنه مريد بواسطة فعله . وهذا يدل على أنها من صفات الأفعال . . . فالقول بحدوث الإرادة ، مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وعليه إجماعهم وهو الحق . فالإرادة هي فعله تعالى وكذلك الكراهة فإنها صفة فعله . قال تعالى : ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾[٢٧] .

فأوّل من قال من العلماء الإلّهيين بحدوث الإرادة هو الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي .

ـ رأي الشيخ الأوحد في علّة العلل :

سار عند الفلاسفة والحكماء إطلاق لفظ العلّة على الله تبارك وتعالى ، بقولهم إنّ علّة العلل هو الله سبحانه . بدلالة عقولهم على أنّ الكون بما فيه قائم به ، ومستند إليه ، فهو الخالق الرازق ، المحي المميت ، إذن هو علّة العلل .

فالشيخ الأوحد خالف الفلاسفة في تسميتهم الحقّ بعلّة العلل ، من وجوه :

---

(٢٦) حدوث أي خلق .

(٢٧) حياة النفس ـ ط مؤسسة الرياض : ص١٣ .

ـ أولاً : إنّ أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية ، فليس لبشر كائناً ما كان أن يسمي الله تعالى ما لم يُسمِ به نفسه . قال الإمام الرضا (ع) لسلمان المروزي متكلم خراسان : « فليس لك أن تسميه بما لم يسمِ به نفسه »[٢٨] .

فاطلاق لفظ العلّة عليه تعالى ، ما ورد ، لا في الكتاب ولا في السنّة المطهّرة أبداً ، فإذا لم ترد تسميته تعالى بعلّة ، فلا يجوز لنا أن نسميه بما لم يُسمِ به نفسه ، كما هو مفاد الرواية .

لا يُقال : ان العقل يوجب ويحكم بتسمية الحقّ علّة العلل ، بدعوى أنّ الكون كله قائم به تعالى من الخلق والرزق والحياة والإماتة ، فكل هذه الأفعال قائمة به . فعلى هذه القاعدة يكون الحق تعالى علّة العلل .

لأنّا نقول : إنّ الدين لا يُقاس بالعقل . فلو كان الدين يُقاس بالعقل لاقتضى دخول بِدَع كثيرة في الدين والمِلّة .

نعم وردت الروايات على أنّ علّة العلل محمد وآل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام كما ورد في الحديث القدسي : « لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ، ولولا فاطمة لما خلقتكما »[٢٩] .

وأيضاً ورد عن حديث الكساء المشهور عند الفريقين بأنه تعالى ما خلق سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ، ولا فُلكاً يجري ولا ، ولا . . . إلّا لأصحاب الكساء وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها . وورد عن الزيارة الجامعة للإمام الهادي (ع) : « بكم فتح الله وبكم يختم » ، فلولا محمد وآل محمد لما كان ما كان ، ولما وجد ما وجد من الكائنات . فهم علّة العلل في الخلق والإيجاد سلام الله عليهم .

---

(٢٨) عيون الأخبار : ج١ ص١٥٠ .
(٢٩) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى / الشيخ الرحماني الهمداني .

ـ أقســـام العلّـــة :

العلّة هي ما يتقوم الغير بها . فهي تنقسم إلى قسمين هما :

١ ـ علّة تـامة : وهي التي لا يمكن تخلف المعلول عنهـا بأي وجـه من الـوجوه ، فهي مجبـورة في إحداث واصـدار المعلول · مثل الشمس بـالنسبة لأشعتها ، فالشمس علّة تامة لوجود الأشعـة ، ولا يمكن للأشعـة التخلف عن الشمس ، وكذا لا يمكن للشمس التخلُّف عن الأشعة ، فـالشمس مجبورة في إحداث الأشعة ، لكونها علّة تامة في وجود الأشعة .

٢ ـ علّة ناقصة : وهي التي تقوم جزء من المعلول لا كله . وذلـك مثل التراب بالنسبة لتطهير الإناء الوالغ فيه الكلب ، فالتـراب علّة في تطهيـر الإناء لكنه علّة ناقصة ، يحتاج إلى الماء حتى يكون الإناء المولوغ فيه طاهراً . وكذا الحديد علّة للبناية لكنه علّة ناقصة وهلمج .

ـ بطلان كون الحق تعالى علّة تامة أو ناقصة :

فلا يمكن كون الحق تعالى علّة تامة وذلك لمجبورية الحق على الخلق والإحداث ، وهذا ينافي الإختيار .

ثانياً : يلزم من الله تبارك وتعالى الضعف والوهن والعجز لكونه عاجزاً عن الإستقلال عن المعلول . وهذا باطلٌ أصلاً .

وأمـا فساد اطـلاق العلّة الناقصـة على الحق ، فهذا لا يحتـاج إلى بيان لظهورالنقص في العلّة الناقصة ، والحق لا يتّصف بالنقص والضعف .

الحاصل : إذن : أن اطلاق لفظ العلّة على الحق تعالى ممنوع شرعاً . قال الإمام علي عليه السلام : « كان عليماً قبل إيجاد العلم والعلّة »[٣٠] .

فالحق عالم قبل إيجاد العلم والعلّة الحادثين المخلوقين . وذلك لما في العلّة والمعلوم من مشابهة ومناسبة . ولا يوجد ثمة مشابهة أو مجانسة بين الحق

---

(٣٠) دعاء عديلة في كتب الأدعية .

وخلقــه أبـداً ، فهــو ليس كمثله شيء وهـو السميـع البصيـر ، قـال الإمـام الرضا (ع) : « كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه »[٣١] .

فالكون حادث مخلوق ، لا بد من كون العلّة له حادثة مخلوقة مثله ، لأن الأدوات تحـدُّ أنفسهـا وتشيـر الآلات إلى نـظائـرهـا . فعلّة العلل هـو محمـد وآل محمد عليهم السلام . فمن راجع الروايات في الكتب المعتبرة وجد ذلك واضحاً على أن أهل البيت هم العلّة من الايجاد .

(٣١) عيون الأخبار : ص١٢٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم وبعد فيقول
العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأجري أنشأ الله من زرعه الولد الأعز في الشرف
وخير خافقة عين بلا مين جعلني الله كريم شاه وبلغه من رغائب
الدارين أبناه بحرمة سيد المرسلين كتابا في الفرائض وسماه جواد العقول
وهو أدرى كما سماه ولقد أشار الناظر وأسر الخاطر ونوع تحرير موضع
القيد لاشتماله على أطلق الفروع وفروع عامل بوده وافقه على ايتمنيه
المقام من طالب السماء لعلام من أحكام الحلال الحرام فكرت سيرة شكر الله
سعيه وحمد مسعاه ونجح حيث جرى في على المراد جعله الله من أهل الزاد الموهاد
انه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وكتب بيده فقاني ليا صائم امداد ابو بكر
العبد المسكين أحمد بن زين الدين حامدا مصليا مسلما مستغفرا

منهجية تلامذة الشيخ من بعده

قبل ان نشرع في المنهج الذي سار عليه تلامذة الشيخ أحمد الإحسائي يُستحسن بنا أن نشير إلى فائدة مهمة وهي :

أنّ الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي ـ أعلى الله مقامه ـ (١١٦٦ ـ ١٢٤١ هـ) هو من العلماء الأصوليين ، الذين يعملون بالأدلة الإجتهادية من الكتاب والسنّة ، والإجماع والعقل ، والاستصحاب والبراءة والإحتياط والتخيير . كما أنه في الوقت نفسه لا يرى تقليد الميت ابتداءً ، بل يجوز تقليد المفضول على الفاضل ولا يرى تقليد الأعلم .

فبعد ما انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى سنة ١٢٤١هـ ، خلّف وراءه تلامذة علماء ، حلماء . كانوا آنذاك جهابذة الفكر ، وأساطين العلم ، وحملة آثار آل محمد ونشر فضائلهم (ع) ـ قديماً وحديثاً ـ كل فرد منهم مفخرة من مفاخر الدين ، وعلم من أعلام سيد المرسلين ، محمد صلى الله عليه وآله .

فطليعة تلامذة الشيخ الأوحد ، أبناؤه الثلاثة ، أولاهم وأفضلهم وأعلمهم ابنه الأوسط الشيخ علي تقي ـ عليه الرحمة ـ لقد كان عالماً عاملاً ، زهداً فاضلاً حوى المعقول والمنقول . حكيم إلهي وفرد صمداني . أصبح بعد وفاة أبيه مرجعاً ومقلّداً ، ترجع إليه كرمانشاهان وإيران .

فمنهجه نفس منهج أبيه ، المنهج الأصولي من العمل بالأدلة الأربعة الإجتهادية والفقاهية ، فالشيخ علي تقي ، لا يقلد أباه ، لا في الأصول ولا في الفروع ، بل له رسالة عملية من الطهارة إلى الحدود والديّات .

وثانيهم ابنه الأجلّ والعلم الأشمّ الشيخ عبدالله ـ رضوان الله عليه ـ لقد كان أصغر أولاد الشيخ الأوحد سناً ، توفي بعد وفاة والده بفترة قصيرة والتحق إلى جوار ربه « له ترجمة لأحوال والده مُفصَّلة ، وترجمت إلى الفارسية وطبعت مرتين ، مرة في طهران في رسالة چهاردهي ، ومرة ثانية في تبريز في رسالة ثقة الإسلام الميرزا محمد المرحوم التبريزي »[1] .

وثالث أولاد الشيخ الأوحد ، ابنه العالم الفاضل والنحرير الكامل ، الشيخ محمد تقي ـ رضوان الله عليه ـ لقد كان أكبر أبناء الشيخ الأوحد سناً ، يقول جناب المولى المقدس الميرزا علي الحائري الأحقاقي في حق الشيخ محمد تقي : « . . . وله تصانيف في المنقول والمعقول ، توفي زمان والده المرحوم ، من تصانيفه ، كتاب جواهر العقول في تقرير قواعد الأصول . كتاب جليل يشهد لصاحبه الغوص في تيار علم لا يساحل ، والبلوغ إلى ذروة فضل لا يحاول . عثرنا في بغداد على الجزء الثاني من الكتاب المذكور (جواهر العقول) في مكتبة السيد الفاضل الجليل الأستاذالنجفي ـ دام علاه ـ بقلم مُصنّفه ، وفي ظهر الكتاب تقريض وتمجيد من والده الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين ـ أعلى الله مقامهما ـ بقلمه وختمه ، وهو هذا عينا صورته ارتساماً »[2] .

كما أن جناب الشيخ الأوحد قد أثنى على ابنه وفداه بنفسه الشريفة بقوله : « وكان ممن تفضل عليّ عزّ وجلّ ، أن رزقني ذرية ، كرّمهم الله بالعلم وكان كبيرهم سناً وعلماً هو الابن الأعز محمد تقي أعزّه الله وهداه وجعلني من

(١) عقيدة الشيعة : ص٧١ .
(٢) عقيدة الشيعة : ص٧٢ .

المنية فداه ، التمس مني أن أذكر بعض أحوالي »[٣] .

فقول بعض المترجمين في حق الشيخ محمد تقي بأنه كان ينكر على أبيه أشد الإنكار ، وكان مخالفاً لأبيه في حكمته وآرائه ، كلام غير صحيح وبدون دليل ، فمصدر هذا الكلام من أفواه القيل والقال ، وعدم التحقيق في المقال . إنّ هذا إلاّ زورٌ وضلال[٤] .

فالشيخ محمد تقي ابن الشيخ الأوحد ، هو على طريقة أبيه ، في حكمته ، ولا يعني من ذلك أنه يقلد أباه في الفروع أو الأصول ، بل على النهج الذي سار عليه أبوه في العقيدة الإلٰهية ، عن اقتناع ودراية .

ـ المظلوم السيد كاظم الرشتي :

فمن أكابر وأعاظم تلامذة الشيخ الأوحد ، السيد كاظم الحسيني الرشتي المتوفي سنة ١٢٥٩هـ ، والذي أصبح تكفيره من أبده البدِيهيات وأسهل الهينات ، مع العلم بغزارة علمه ، وثبوت جنانه في التوحيد والحكمة الإلٰهية . فقد عُرف بالتفنن في العلوم والرسوم من علوم الشريعة والطريقة والحقيقة .

أما علوم الشريعة[٥] ، فناهيك آراءه المبتكرة الجديدة في علم الأصول ،

(٣) عقيدة الشيعة : ص٧٢ .

(٤) إنّ الفاضل السيد محسن الأمين ، في ترجمته للشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي ، اعتمد على القيل والقال . فليس في ترجمته للشيخ كلمة واحدة صحيحة ، بل من أول ترجمته إلى آخرها كلها هجوم ، وتضليل من دون استناد ، إلى دليل يعتمده . بل ولربما ينقل عبائر مختلقة وينسبها إلى الشيخ ، كما قال : « ومنها ما رأيته في رسالة له صغيرة مخطوطة ذهب عني اسمها . وقد سأله سائل عن الدليل على وجود المهدي (ع) ليجيب به من اعترض عليه ، فأجابه بعبارات لا تفهم ، تشبه هذه العبارات إذا التقى كاف الكينونة مع باء البينونة ، مع أمثال هذا التعبير إلى آخره » . أعيان الشيعة .
انتهى ـ رحمه الله ـ فليس في كتب الشيخ ولا تلامذته هذه العبارة ـ بل الفاضل السيد الأمين قد نسج عبائر ونسبها إلى الشيخ الأوحد . فمن أراد الاطلاع على الأمر فعليه بمراجعة كتاب عقيدة الشيعة للمولى الميرزا علي الحائري الاحقاقي : ص٩٧ .

(٥) علوم الشريعة هو علوم الفقه .

قلة آراء خاصة به ، مستوحاة ومستنبطة من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل .

وأما علوم الطريقة[٦] ، فلا يسبقه سابق في ذلك ، حيث ملأ كتبه وأسفاره من الأخلاقيات والروحانيات وطريقة السلوك إلى الحق ، والمواظبة على الأذكار والمستحبات الموافقة للكتاب والسنّة ، غير ما هو عليه أهل التصوف من السلوك إلى الله ، بل كان ـ عليه الرحمة ـ يتبرأ ويخالف جماعة التصوف . فله رسالة في الأخلاق والسلوك إلى الله خاصة . كما أنه في أغلب كتبه عندما يُسأل عن كيفية السلوك يجيب بإيجابات مختلفة متنوعة على حسب فهم السامع وإدراكه .

وأما في علوم الحقيقة[٧] ، فلا يشُق له غبار . فله من التحقيقات الرشيقة والمطالب الوثيقة من النقل والعقل ، كما عليه أستاذه الشيخ الأوحد ما تحير العقول عن إدراكها وتضيق الصدور عن إظهارها . فقد اضطربت الأفهام وحارت الأوهام في معرفة هذا السيد ـ أعني السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ وما ذلك إلّا لغزارة علمه ، ورساخة قدمه في سائر العلوم والفنون الظاهرة ، عند الناس ، والغريبة عليهم ، فقد طفح من يراعه الشريفة من أسفاره ورسائله أدهش الألباب وحيّر الأفهام من علوم الجفر والحروف والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والحكمة الإلٰهية المستنبطة من آثار آل الرسول صلى الله عليه وآله .

فالسيد كاظم الرشتي قد كافح ودافع بكل ما أوتي من ملكة وقوة واقتدار عن آراء أستاذه الشيخ الأوحد ـ أعلى الله مقامهما ـ .

فحسبك رسالة كشف الحق ، والحجة البالغة ، ودليل المتحيرين ولو أردنا الحقيقة والواقع ، ما السيد كاظم الرشتي إلّا تفصيل الشيخ الأوحد . فالشيخ يُجمل والسيد يُفصّل . لذا اتُفِقَ على الشيخ واختُلِفَ في السيد ـ أعلى الله مقامه ـ والإختلاف لا يكون إلّا في التفصيل لا في الإجمال .

---

(٦) علوم الطريقة هو علوم الأخلاق .

(٧) علوم الحقيقة هي علوم الحكمة والعرفان .

فطريقة السيد كاظم نفس طريقة أستاذه ، في استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية ، كما عليه العلماء الأصوليون . قال : « وإن عملنا في كيفية استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية ، ما عليه أصحابنا المجتهدون على النهج المقرر في الكتب الأصولية ، فهذا الذي ذكرناهُ لك هو الذي نحن عليه »[٨] .

فالسيد كاظم هو من المراجع العظام والمجتهدين الفخام . ترجع إليه كربلاء المقدسة والعراق وغيرها في تقليدهم . فله رسالة محشياً على رسالة أستاذه « الحيدرية » ، ويبدي فيها آراءه الخاصة به ، فهو لا يقلد أستاذهُ لا في الفروع ولا في الأصول ، بل له رسالة عملية في الطهارة إلى الدِّيات والحدود .

ـ الميرزا حسن المشهور بگوهر . ت ١٢٦٦هـ :

أتى بعد السيد كاظم الرشتي المولى الميرزا حسن المشهور بگوهر . فالميرزا كان آنذاك زعيم الحوزة العلمية في كربلاء والنجف . كما أنه قد جمع بين حكمة القوم وحكمة الشيخ الأوحد . فله رسالة تدعى بالمخازن واللمعات والبراهين الساطعة . ففي هذه الرسالة يُبدي آراء الشيخ من الوجود وما يتعلق به والعلّة والمشيئة والقيامات الأربعة : القيام الصدوري والظهوري والركني والعروض الخاصة بالشيخ ، والمبدأ والمعاد وشريك الباري ، وفي الحقيقة هذا الكتاب ـ أعني كتاب المخازن ـ هو من الكتب المقارنة بين حكمة الشيخ وحكمة غيره ، مؤيداً فيه حكمة أستاذه الشيخ الأوحد بالكتاب والسنّة والعقل المستنير بهما ، ومفنداً حكمة الغير بنفس الكتاب والسنّة والعقل المستنير بهما .

كما أن للميرزا حسن گوهر كتاب على شرح حياة الأرواح للملا جعفر الاسترابادي . ففي هذا الكتاب قد كشف الحق عن خداعه ، وأمات الباطل من اجتثاثه . فالملا جعفرالاسترابادي ـ عليه الرحمة ـ قد تهجم على الشيخ الأوحد

---

(٨) الحجة البالغة من مجموعة الرسائل : س٩ ـ ص٣٢١ .

وعلى آرائه ، فما كان من تلميذ الشيخ وهو الميرزا حسن گوهر إلّا أن ردّ على الشيخ جعفر الاستربادي بردود شافية ، وأدلة كافية من الكتاب والسنّة مؤيداً بهما حكمة أستاذه ، من دون تكفير له كما زعْمُهُ ؛ من لا معرفة له بالأحوال ، فاختلاف الآراء لا يعني تكفير أحدهما للآخر .

فالميرزا حسن المشهور بگوهر ، هو من المراجع والمجتهدين الذين يُشهد لهم بالأعلمية والأفضلية ، فقد وفّق بين الرياسة الدنيوية والدينية ، لما كان يمتلكه من ثروات وأموال وسلطة في عصره . كما أنه كانت ترجع إليه كربلاء والعراق وغيرهما في تقليدها .

ـ الملا محمد الممقاني ـ حجّة الإسلام :

فمن تلامذة الشيخ الأوحد ، الملا محمد الممقاني وأبناؤه الثلاثة : المولى حجّة الإسلام الميرزا حسين الممقاني ، ثم المولى الميرزا محمد تقي حجة الإسلام صاحب كتاب صحيفة الأبرار ، ثم المولى الميوزا إسماعيل حجّة الإسلام .

وكل واحد منهم مرجعاً ومقلداً من مراجع المسلمين المؤمنين ، الذين بهم يُعَزُّ الدين وتُعلى كلمته .

ـ الميرزا محمد باقر الأسكوئي . ت ١٣٠١هـ :

جناب المولى الميرزا محمد باقر الاسكوئي ، كان معروفاً بالزهد والورع والعلم والحلم ، حتى لقب بسلمان عصره ، وناموس دهره ، لما رأوا منه من نسك وعبادة ومواظبة على أقل المستحبات ، وابتعاده عن كل المكروهات ، فعرف بذلك . فحينئذٍ صار محطاً لنظر الله تعالى ، من ظهور كرامات تظهر على يديه ، وما ذلك على الله بعزيز .

فالميرزا محمد باقر ـ أعلى الله مقامه ـ من المراجع الكمَّلين ، والأساطين المعروفين ، فأصبح مرجعاً ومقلداً بعد أستاذه الميرزا حسن گوهر في العراق والفلاحية والبصرة والقطيف .

له كتابان معروفان ، يدعى أحدهما « بـالمصباح المنيـر » والآخر « بحق اليقين »ففي هـذين الكتابين ، ردّ فيهمـا على شبهات الحـاج كـريم خـان في كتـابه« الفصـول المهمة » . حيث أن الحـاج كريم خـان قد وقـع في شبهـات ومغالطات كدعوى الركن الرابع ووحدة الوجود وغيرها . ونسب هـذه الشبهات إلى الشيخ الأوحد . فالمولى الميرزا محمد باقر قد أوضح في كتابيه آراء الشيخ ونزّه ساحة أستاذه عن دعوى الركن ووحدة الوجود ، وبيّن اشتباه الفاضل الحاج كريم خان .

ـ الميرزا موسى الحائري الإحقاقي . ت ١٣٦٤هـ :

العالم العامل ، والكامل الفاضل ، والمجاهد المناضل ، جناب المولى الميـرزا موسى ابن المـولى جناب الميـرزا محمد بـاقر الأسكـوئي ـ أعلى الله مقامهما ـ كان معروفاً بالزهد والورع والتجافي عن دار الغرور والانابـة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله . فكان يتمتع بحافـظة جيدة ورأي ثـاقب وبصيرة نافذة ، صائناً لنفسه مخالفاً لهواه مُطيعاً لأوامر مولاه ، عرف بمحافظته على المستحبات واجتناب المكروهات ، حتى أنـه دعي لوجبـة غداء من قبـل بعض المؤمنين ، فأجابهم فـوافق ذلك اليـوم أن تأخّـر الغداء حتى قَـرُبَ وقت صلاة الظهر ، فقال عليه الرحمة : « آتوني بخبز أو ما عندكم من الطعام حتى لا يفوتني نوم القيلولة » . وفعلاً جيء له بخبز مُتبقي من الداعين له ، وقام باحياء سنة نوم القيلولة . فهكذا كان محافظاً على المستحبات متجنباً المكروهات .

فجناب المولى الميرزا موسى ـ أعلى الله مقامه ـ هو من العلماء والتلامذة للشيخ ، والذين بـذلوا مـا بوسعهم للدفـاع عن آراء أستاذهم المـظلوم الشيخ الأوحد ، بكل مـا حباه الله من قـوة وملكة ، كمـا أنه تـرجع إليـه في تقليدهـا « العراق وإيران وبالأخص آذربيجان وأطرافها والبصرة والإحساء وغيرها . ولـه رسالة عملية غير رسالة والده »[٩] .

ومن أشهر كتب الميرزا موسى الحائري ، كتاب احقاق الحق . ففي هذا

---

(٩) عقيدة الشيعة : ص٦١ .

الكتاب ، قد أبْلج الحق وأزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقاً .

ويُعدّ كتاب إحقاق الحق ، من أفضل الكتب الدفاعية عن أفكار الشيخ ومبادئه الفلسفية . فقد تناول فيه كل الشبهات التي وجهت إلى الشيخ الأوحد وإلى تلميذه السيد كاظم الرشتي ، ففيه قد نزّه ساحتهما وساحة تلامذتهما ومن نهج نهجهما إلى وقتنا الحاضر .

بحث فيه شبهة المعاد ، والمعراج ، ووحدة الناطق القائل بها الحاج كريم خان والعلل الأربعة والتفويض المشروع وغيره والامكان وغيرها . فمن أراد الاطلاع على أفكار ومبادىء الشيخ وتلامذته ونهجهم بشكل موسع ، فعليه بمراجعة هذا الكتاب ، ففيه شفاءٌ للصدور المؤمنة الخالية من التعصب والتقليد الأعمى الأعوج .

كما أن له رسالة تدعى بالبوارق ، أيضاً فيها دفاع عن الشيخ وتلامذته ، وله رسائل متعددة في الفقه والأصول والحكمة الإلٰهية .

ـ الميرزا علي الحائري الإحقاقي ت ١٣٨٦هـ :

العلم الأشمّ والطود الممتحن ، العالم العامل ، والنحرير الفاضل ، والمجاهد المناضل ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، الآغا ، جناب الميرزا علي ابن المولى الميرزا موسى الحائري الإحقاقي ـ أعلى الله مقامهما ـ صاحب الكرامات النيِّرات والآيات الباهرات ، التي شهدناها ـ نحن الإحسائيون ـ عند إقامته عندنا في الإحساء .

فقد أجهد نفسه وبذل عمره في إخماد الفتن وإحياء السنن ، من الدفاع والمناصرة ، لأستاذه وأخيه المؤمن ، متأسياً بقول الإمام الصادق (ع) : « ما من مؤمن يخذل أخاه المؤمن وهو يقدر على نصرته إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة وإن نصره كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام » .

فكان ـ رحمه الله ـ لا يجلس في مجلس إلّا ويعرج إلى ذكر أهل البيت (ع) ويتلو من مقاماتهم النورانية ومكانهم الشامخ الذي لا يلحقهم

لاحق ، ولا يسبقهم سابق ، الذي كانوا فيه أنواراً بعرشه ، محدقين ، ورد في الزيارة للحسين (ع) : « ولعن الله أمّةً دفعتكم عن مقامكم ، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها »[١٠] .

فعرف جناب المولى الميرزا علي ـ أعلى الله مقامه ـ بالهيبة والعزة عند المؤمنين ، حتى انه لا يستطيع أحد أن يملأ طرفه منه ، هيبةً منه ، وإجلالاً له ، حتى يطرق برأسه نحو الأرض .

ـ الميرزا حسن الحائري الإحقاقي :

فحسبنا في عصرنا الحاضر ، الإنسان الكامل ، والعالم العامل ، الفذ اللوذعي ، والمجاهد الأوحدي ، الإمام المصلح ، آية الله المولى الميرزا حسن الحائري الإحقاقي . الذي عَنَى بتشييد الجامعات الإسلامية والمدارس المحمدية ، العلوية ، في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ، في أميركا ، ولندن ، واستراليا ، وأفريقيا . كما أنه أقام مساكن للأيتام والمعوزين ، فآوى الملهوفين والمحتاجين ، في شرق الأرض وغربها بإنشاء المصانع العملية للبطالين ، وإرجاع الأرباح إلى كافة الفقراء وبخاصة السادة أبناء علي وفاطمة ، عليهما وعلى أبنائهما المعصومين أفضل الصلاة والسلام .

فقد أوقف نفسه لخدمة الدين ونشر فضائل سادات العالمين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، عليهم آلاف صلاة المصلين أبد الآبدين ، ودهر الداهرين . حتى أنه قال كلمته المشهورة التي ذاعت في الأعصار والأمصار بمفعولها الحي وتطبيقها المشهود : « إني أحبُّ أن أصل كل الشيعة في نقاط العالم » .

---

(١٠) زيارة عاشوراء .

المؤسسات المقدسة للإمام المصلح المجاهد
سماحة الحائري الاحقاقي دام ظله :

١ ـ درسكاه آل محمد (ص)	فيصل آباد	مديرها المبلغ الأعظم مولانا محمد إسماعيل	باكستان
٢ ـ دار العلوم جامعة الجعفرية	دحيم يادخان	مديرها حجة الإسلام سيد تصدق حسني البخاري	باكستان
٣ ـ جامعة قائم آل محمد (ص)	جكوال	مديرها حجة الإسلام الشيخ محمد لطيف النجفي	باكستان
٤ ـ جامعة الثقلين	ملتان	مديرها حجة الإسلام الشيخ محمد حسنين السابقي	باكستان
٥ ـ جامعة الإمام جعفر الصادق (ع)	كراجي	مديرها مولانا ضياء حسين ضياء ابن المبلغ الأعظم	باكستان
٦ ـ جامعة الإمام حسن الزكي (ع)	فيصل اباد	مديرها حجة الإسلام السيد مسعود علي الحسني	باكستان
٧ ـ جامعة الحسن المجتبي (ع)	فيصل اباد		باكستان
٨ ـ جامعة الإثنى عشرية	سرحد	مديرها مولانا آغا عبد الحسن سرحدي	باكستان
٩ ـ مدرسة الذاكرين	سبالكوت	مديرها مولانا سيد حسن رضا نقوي البخاري	باكستان
١٠ ـ جامعة دار العلوم المحمدي (ص)	سركودها	مديرها مولانا نذر حسين	باكستان
١١ ـ مدرسة الحسينية كرور	ضلع ليه	مديرها علامة قاضي سعيد الرحمن علوي	باكستان
١٢ ـ جامعة السجادية	جورة كلان	مديرها حجة الإسلام الحاج الشيخ ناصر النجفي	باكستان
١٣ ـ جامعة الحيدرية	عباس نكر	مديرها مولانا الشيخ عبد المجيد زاهد	باكستان
١٤ ـ مدرسة الإمام الحسين (ع)			باكستان
١٥ ـ دار العلوم العسكرية			باكستان
١٦ ـ جامعة آل محمد (ص)	لياقت بور	مديرها مولوي رياض حسين طاهري	باكستان

١٧ ـ مدرسة إمامية	بشاور	مديرها مولوي الشيخ غلامعلى	باكستان
١٨ ـ مدرسة الباقرية		القائم بترميمها ورواتبها سماحة الإمام المصلح	باكستان
١٩ ـ مؤسسة أبو تراب مشن	حكوال	مديرها حجة الإسلام سيد نياز حسين	باكستان
٢٠ ـ در سكاه فاطمة زهراء (ع)	فيصل اباد	المديرة محترمة صبيحة ناز بنت المبلغ الأعظم	باكستان
٢١ ـ در سكاه خديجة الكبرى	لاهور	المديرة أيضاً صبيحة ناز	باكستان
٢٢ ـ در سكاه زينب كبرى	ملتان	المديرة رضيعة السابقي النجفي	باكستان
٢٣ ـ مدرسة الزينبية		المدير حجة الإسلام ميرزا نوازش علي	باكستان
٢٤ ـ درس شريكة الحسين (ع)		المدير علامة السيد علي أصغر شمس	الهند
٢٥ ـ حسينية فاطمة الزهراء (ع)	بومباي	الناظر السيد محمد الموسوي	إيران
٢٦ ـ الحسينية السجادية الكويتية	مشهد الرضا (ع)		إيران
٢٧ ـ حسينية الإمام السجاد	طهران	الناظر حجة الإسلام الشيخ ميرزا محمد عيدي	إيران
٢٨ ـ تجديد مسجد حجة الإسلام التبريزي تبريز	تبريز		إيران
٢٩ ـ حمام عمومي وقف لطلبة العلوم الامامية	أسكو		سوريا
٣٠ ـ مسجد الإمام علي بن أبي طالب (ع)	جنينة		سوريا
٣١ ـ حسينية السجادية	صافيتا		سوريا
٣٢ ـ مسجد السجادية	صافيتا		سوريا
٣٣ ـ حسينية السجادية	كندا		أمريكا
٣٤ ـ الحسينية الفاطمية الإحسانية	السيدة زينب (ع)		سوريا

نعم قد أوصل الشيعة بتوفيرالمساكن والمعونة الجسمية والعقائدية وما يحتاجون إليه في شؤون حياتهم العلمية والعملية .

فالإمام المصلح المولى الميرزا حسن الحائري ، هو من الذين اتبعوا الشيخ الأوحد في عقيدته وحكمته ، لكن ، لا عَنْ تقليد للشيخ في الأصول أو الفروع ـ لذا له بعض الآراء في الحكمة والأصول مخالفة للشيخ أحمد الاحسائي ـ . فهو من المراجع المعاصرين ، الفخام والعلماء العظام ، ترجع إليه في تقليدها الإحساء والكويت وتبريز ، وفي الهند وباكستان ، وكذا يرجع إليه المسلمون في البلاد الغير إسلامية في الشرق والغرب . فبصمات جهوده وعطائه لا أعتقد أنها تخفى على أحد ؛ من جوامع روحانية لشتى أنواع الأمراض النفسية المعقدة ، التي تعجز الأطباء عن علاجها وكشفها . فببركة هذه الجوامع المذكورة بالأوراد الشرعية الصادرة عن أهل بيت الرسول ، صلى الله عليه وآله يشفى المريض .

ـ إنتحال لقب فرقة الشيخية :

فكل تلامذة الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي ـ قديماً وحديثاً ـ لا يقلّدُون أستاذهم لا في الفروع ولا في الأصول .

ولكن من كثرة دفاعهم عنه ونصرتهم لآرائه ومعتقداته عُرفوا بانتسابهم إلى الشيخ الأوحد . فأطلق عليهم الغير ، اسم « الشيخية » ، وإلاّ في الحقيقة والواقع لم تكن نيّة الشيخ الأوحد ولا نيّة تلامذته تأسيس فرقة تدعى « بالشيخية » .

وأما قول بعض الكتّاب المعاصرين : « ولهذا فالشيخية لم تنشأ على يديه ولا في عصره (يعني الشيخ الأوحد) وإنما نشأت ـ كما ذكر غير واحد ـ على يدي تلميذه السيد كاظم الرشتي ، الذي استغل اسمه ومبهمات عبائره العرفانية والفلسفية لتحقيق ما كان يهدف إليه »[11] .

---

(١١) مجلة الموسم العدد التاسع والعاشر ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

فهـذا القول قـول غير صحيـح ، بل قـول زور وبهتان على الله ورسـوله والمؤمنين . قـال تعالى : ﴿**والـذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات فقـد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ .

فلو صحّ التعبير على أن كل من دافع عن مبدأ أو مظلوم ، يُنسب إليه ذلك المبدأ أو المظلوم بتكوين فرقة ، للزم من ذلك أن تكون فرق كثيـرة في الشّيعة الإمامية . فمثلاً الملاّ « صدرا » هو من الفلاسفة الإسـلاميين الإماميين ، ولـه أعوان وأتباع ، فعلى هذا التعبير يمكن لنا ان نطلق على أعوانه والناهجين نهجه فـرقة (الصـدرية) ، وعلى اتبـاع وأنصـار ابن سينـا والنـاهجين نهجـه فـرقـة (السينـائية) . وذلـك يؤدي إلى تمزيق وتفـرقة الشيعـة الاماميـة إلى تكتـلات وأحـزاب ، ومـا أتى الإسـلام والـدين إلاّ ليُلِمَّ الشعـــوب ويكـاتفهم ويجعلهم إخواناً : ﴿**إنما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم**﴾ ، ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ . فالإسلام قد نهى عن التفرق والتحزب ، أحزاباً يلعن بعضهم بعضاً ويكفر أحدهما الآخر .

فيا أخي المؤمن ويا أختي المؤمنة ، نحن ـ ولله الحمد ـ في سعة وغنى ، عن هذه التفرقة وهذا التحزب . كفانا الإستعمار ، انظروا إليه كيف ينهش في لحوم وحدتنا ، ويفرق كلمتنا ويشكك بعقيدتنا .

حسبنا أن نستيقظ من سبات عميق نغط فيه ، أما نقرأ الصحف والجرائد اليومية والأسبوعية والشهـرية بـالأخبار الفـادحة والمصـائب النائحـة على الأمّة الإسلامية وما أصيبت به . إن الأمّة الإسلامية في هذه الأيام فريسـة بين أنياب الصهاينة والإستعمار .

والـذي أنكى من ذا وذاك ، أننا ـ نحن المسلمـون ـ يقتل بعضنـا الآخر ويرى في فعله هذا الإجرامي ، التقرب والزلفى لدى الله تعالى .

انظروا إلى لبنان وما دهى عليها من طخياء مظلمة ، وما حدث للعراق من بقر بطون الحوامل ، وتقطيع الجماجم ، وصهر الشباب والشابـات في الأفران النـارية ، ونثـر الأطفـال والشيـوخ من أعـالي الـطائـرات إلى الأرض صـرعى

مجلدين ، كل واحد منهم يلوج بنفسه ، ويعالج بروحه سكرات الموت .

ففي الحقيقة ، ما أحوجنا في هذا العصر المظلم إلى الإعتصام والتوادد والترابط حتى نكون كما أحب نبينا محمد صلى الله عليه وآله ان نكون : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وما نقول إلّا يا مولانا ، يا صاحب العصر والزمان ، عجل إلينا ، واكنفنا بعدلك الرحيم وعينك العطوفة . فليس لنا غيرك ، يا صاحب الزمان . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

دعوى الركنية واختراق الكشفية

ـ دعـــوى الركنيـــة :

إنّ كـل نبي من الأنبيـاء أو رسـول من الـرسـل ، أو عـظيم عبقـري من العباقرة ، في كل جيل من الأجيال ، يحصل الإختـلاف والشقاق والنقـاق بعد مـوته أو في حيـاته . قـال تعالى : ﴿**ومـا محمد إلاّ رسـول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾ .

فالإنقلاب والإختلاف لا يكون إلاّ بعد إظهار هذا الرسول أو العظيم مبادئه ودسأتيره سماوية كانت أم بشرية ، مستوحاة من التشريع أم من العقل وحـده . قال تعالى : ﴿**عمَّ يتساءلون عن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون**﴾ .

فمن استقرأ التاريخ من أول بزوغـه إلى يومنـا الحاضـر وجد الإختـلاف والشقاق بين الأمم أمر متفق عليه لا يختلف عليه إثنان .

هاك أول أمّة وجدت على هذه البسيطة ، أمة آدم ، على نبينا وآله وعليه السلام . فهي من أقل الأمم عدداً وعُدّة . ومع هذه القلة من العدد ، قتل قابيل أخاه هابيل . جاء في التنزيل : ﴿**فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين**﴾ .

فالإختلاف والشقاق والنفاق بين الأمم والشعوب يكاد يكون سُنّة كونية ، لكن في الوقت نفسه ، لا يعني هذا الإختلاف والشقاق كذب أو فساد دساتير ومبادىء ذلك النبي أو العظيم . كما أنه لا يعني ذلك ، ضلالة جميع الأمة المبعوث لها هذا النبي ، أو فساد عقيدة جميع المتبعين لآراء ذلك العبقري .

فالموضوع موكول إلى البحث والإستدلال والإستقراء لكل عبقري على حده ، ولكل رجل أو عالم اتبع هذا النبي أو العبقري على حده لأنه : ﴿**لا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ .

فإخواننا السنّة ، يرموننا ، بأننا نفسق ونضلل الصحابة كلهم ، والحال أننا لا نفسق ونضلل الصحابة كلهم ، بُل نكل كل صحابي وتابعي إلى عمله واتّباعه للرسول (ص) ، فإن كانت سيرته موافقة للرسول حكمنا بعدالته واستقامته ، وإن كانت سيرته مخالفة للرسول (ص) رأساً حكمنا عليه بالمخالفة وعدم الإتباع . كما أن القرآن الكريم قد حكم بنفاق بعض الصحابة وضلالتهم ، فالتفسيق والتوثيق موكولان إلى عمل وانتهاج ذلك الصحابي أو التابعي ، وعلى ذلك نحكم بفسق هذا وعدالة ذاك .

فليست القضية فوضى وترك الحبل على القارب . فالشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي ، هو من العباقرة والعظماء الإلٰهيين الذين اختلفوا فيهم .

فمن اتبعه وانتهج نهجه نحكم عليه بالاتباع والتلمذة ، ومن خالف نهجه وطريقته حكمنا عليه بالمخالفة وعدم المنهجية .

فالحاج كريم خان الكرماني هو من الذين حضروا درس تلميذ الشيخ ، السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ سواء كان حضور الفاضل كريم خان طويلاً أو قصيراً ، هذا لا يعنينا . بل المعنى هو : هل الحاج كريم خان سار على نهج الشيخ في عقيدته أم خالفها ؟

فإن سار الحاج كريم خان على نهج وطريقة الشيخ الأوحد في عقيدته ألحقناه بتلامذة الشيخ وإن خالف طريقته فلا معنى لإلحاقهِ بتلامذه الشيخ لعدوله عن نهجهِ .

فالحاج كريم خان هو من ضمن القائلين بعدم كفاية الإمام الغائب ، بل لا بد من رجل من الرعية يكون بمثابة الباب والركن كي يسد النقص في تـأدية الأحكام الشرعية والكونية . وادعى أن هذا الرجل المكنّى بـالركن والبـاب هو السيد كاظم الرشتي والشيخ ، وهما لم يقولا بمقولة الـركن أبداً . قـال الحاج كريم خان : « إنّ الشيعة يحتاجون إلى عالم يرونه ويأخذون عنه أحكام الشرع في حال غيبة الإمام (عج) وهو الركن الـرابع ، وكـان هذا مختفيـاً بسبب جور الحكام ، حتى اقتضت المصلحة الإلّهية ظهور الركن الرابع بوجود الشيخ أحمد الإحسائي ، وبعده السيد كاظم الـرشتي ، وبعدهمـا أيضاً لا تخلو الأرض من حجة وهو الركن الرابع إلى حين ظهور الإمام . . . . »[1] .

فالحاج كريم خان ـ عليه الرحمة ـ يزعم بأن الشيخ والسيد كاظم ـ أعلى الله مقامهما ـ هما الركن والباب اللذان يوصلان إلى الإمام الحجة (عج) فدعوى الباب والركن ونسبتهما إلى الشيخ والسيد شبيهة بدعوى الكيسـانية من جعلهم محمد بن الحنفية إماماً عن ابن أخيه الإمام السجـاد (ع) . فدعـوى الكيسانيـة بإمامة محمد بن الحنفية بانه إمام لا يعني بـرضاه بهـا ، وكذا دعـوى النصارى بأنهم جعلوا المسيح إلّهاً وثالث ثلاثة ، فضلالة التابع لا يعني ضلالة المتبوع ، حتى آل الأمر عند الحاج كريم خان وابنه محمـد خان بـأن جعلوا هذا الـركن والباب الذي يدعيانهما من أعظم الإعتقـادات التي يجب على المؤمن الموالي الإمامي حتى أنهما شرّعا بأن من لم يعتقد بوجود هذا الرجل من الرعيـة الذي يكون صلة وصل بين الرعية والإمام اعتقاداً حازماً فإنه ليس بموحّد ولا مُلي ولا شيعي ولا موالٍ ، وكانه لم يصلِّ ولم يصم ولم يحج ولم يزكِّ ولم يخمِّس ولم يجاهد وكل أعماله هباءً منثوراً . وكل ذلك لعدم اعتقاد هذا المؤمن بوجود رجل بين الرعية والإمام .

قال الحاج محمد خان بن كريم خان : « ومن المـطالب أن اعتقادي أنّ من لم يعرف السابق عليه والباب الذي يجري منه جميع الفيوض التي به قوامه

---

١) الذريعة : ٢٥/١٦٩ ، نقلاً عن كتاب (هداية الأطفال) بالفارسية .

كوناً وشرعاً إليه لم يعرف شيئاً من التوحيد والنبوة والإمامة . ومن لم يعرف أن بينه وبين الأئمة عليهم السلام من القرى الظاهرة فليس بموحدٍ ولا مُلّي ولا شيعي ولا مُوالي وإن كان في الشرع الظاهر يسمى بذلك . ولكن كلامي في الحقيقة وأريد به تسميته إذا لحد في قبره وسهد في برزخه وقام عن قيامته ، وكما أنه لم يُسمَّ بذلك اعتقاداً لم يصلِّ ولم يصم ولم يزكِّ ولم يخمِّس ولم يجاهد عملاً فأعماله كلها هباءً منثوراً ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا فجعلناه هباءً منثوراً . . .**﴾ وفي الدعاء : « اللهم إني أتوجَّه إليك بمحمدٍ وآل محمد وأقدمهم بين يدي صلواتي وأتقرَّب بهم إليك » ، وفي الحديث قل : « اللهم صل على محمد وآل محمد ، دون أهل بيت محمد ليدخل الشيعة ، وقال (ع) : « إذا أردت أن تفتح صلاتك فاجعل أحداً من الأئمة نصب عينك ، فأنا في جميع حالاتي مقدمك باباً في تجاهي »[٢] .

أمعن النظر مرة تلو الأخرى في هذه العبارة . كيف ادعى الحاج محمد خان بأن جعل الإعتقاد والايمان بهذا الركن والباب ضرورياً من ضروريات الدين وسُنّة من سنن سيد المرسلين محمد (ص) ، وزاد على ذلك بأنه ينصب أحد الأئمة (ع) في صلاته ، وهذا الركن يجعله باباً في اتجاهاته إلى خالقه .

والحال أنّ هذا الإعتقاد بهذه العقيدة التي يدعيها الحاج محمد خان وأبوه كريم لم يقل بها أحد من علمائنا الاعلام من المتقدمين والمتأخرين قاطبة .

فُجميع كتب الشيخ أحمد الإحسائي وتلميذه السيد كاظم الرشتي وتلامذتهما ، لم يُشمَّ منها رائحة ما ادعاه الحاج المذكور . لكن سولت له نفسه التفوه بهذا القول وانتسابه إلى الشيخ والسيد ، كما نسب الكيسانية إلى محمد بن الحنفية ، الإمامة ، مع عدم رضاه بما يقولون .

نعم ، الشيخ وتلامذته كلهم متفقون على القول بكفاية الإمام الحجّة (عج) في تأدية الأحكام الشرعية والكونية . وخلاف هذا القول يقتضي

---

(٢) خط الحاج محمد خان إلى السيد كاظم الرشتي نقلاً من كتاب إحقاق الحقّ : ص١٦٨ .

النقص في الحجة البالغة والحق لا يخلُّ بواجب أبداً ، لغناه المطلق عما سواه تعالى .

ولكي تطمئن قلوب بعض المؤمنين من السيد كاظم الرشتي يجدر بنا أن ننقل اعلان عقيدته ومنهجه الذي سار عليه ويلقى ربه وهو مدين به . سئل السيد الرشتي بقول السائل ما نصه : « وألتمس أيضاً من جنابكم أن تُثبت ما أنتم عليه وتنفي جميع ما عداه ، وإن يكون النفي والاثبات بأدلةٍ عقلية يقبلها كل عاقل مُنصف ، ونقلية مأخوذة من الكتاب والسنّة ، ولو سويته كتاباً تذكرة لأولي الألباب ، مفيداً بجملة الإخوان وفي الإيمان والأصحاب جزاك الله ألف خير . . . . . » .

ـ إعتقاد السيد في التوحيد :

فامتثل السيد أمر السائل وقال : « أقول ، أما الذي نحن عليه ، فهو الذي عليه جميع الموحدين من الاثني عشرية من المؤمنين الممتحنين . أما في التوحيد فنقول : إنّ الله سبحانه واحد في ذاته ، يعني ليس له شريك في القدم ولا في الوجوب ولا في الوجود . وتوحيده الذاتي عين ذاته سبحانه . وهو تعالى واحد في الصفات . بمعنى أنّه لا شريك له في صفة من صفاته ، في علمه واحد في الصفات . بمعنى أنّه لا شريك له في صفة من صفاته ، في علمه وفي قدرته وفي حياته وفي سمعه وفي بصره وسائر صفاته الذاتية . وصفاته تعالى عين ذاته بلا فرق بحالٍ من الأحوال ، فقل ذاته وقدرته ذاته وسمعه وبصره ذاته وحياته ذاته بلا فرق لا في المعنى ولا في المفهوم ولا في المصداق . هو أحديّ الذات أحديّ المعنى ، لا كثرة في ذاته ولا في صفاته يعلم بما يسمع به ويسمع بما يبصر به ، ويبصر بما يقدر عليه من غير اختلاف جهة وجهه وكيف وكيف وحيث وحيث .

ونعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء من الكليات والجزئيات والذاتيات والعرضيات والمجردات والماديات والعلويات والسفليات ، وكل شيء لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء ، وعلمه قبل

الخلق وبعد الخلق ، ومع الخلق لا يتغير علمه ولا يتجدد ولا يتبدل ولا يختلف . والعلم الحادث يراد به مخلوقاته مثل اللوح المحفوظ والقلم والإمام والقرآن . فإذا قلت : الإمام عيبة علم الله ، فهل يراد به عيبة ذات الله ؟

وقد (جعل)[٣] الكافي باباً في أن لله علمين : علم علَّمه أوليائه ورسله ، وعلم استأثر به في علم الغيب عنده . فهذا الذي علمه أوليائه من علمه فهل هو ذاته أو غيره ؟ فالأول محال بضرورة الإسلام . فوجب أن يكون غيره وكل ما هو غير الله فهو حادث مخلوق ، وهذا هو العلم الحادث وليس معناه أنه لا يعلم ثم علم ولكنه سمي خلقاً من مخلوقاته علماً له .

ونعتقد أنّ الصفة على قسمين : صفة ذاتية وصفة فعلية .

فالأولى هي ذاته ، وهي التي نثبت له سبحانه ولا يثبت له ضدها . كما تقول إنّ الله عالم ولا تقول إنه جاهل وتقول إنه بصير ولا تقول إنه أعمى وتقول إنه سميع ولا يصح ان تقول إنه أصم . وتقول إنه حيّ ولا تقول إنه ميت .

وأما الصفة الفعلية :

فهي التي تثبت وتنفي ويوصف الله بها وبضدها . كما تقول : أراد وشاء وكره . أحيا وأمات . أعطى ومنع . أنجا وأهلك . تفضل وانتقم . خلق ولم يخلق . رزق ولم يرزق . وأمثالها من الصفات التي تثبت وتنفي ، فلو كانت هي الذاتية ، لزم التغيير والانعدام ، لأن الصفة الذاتية عين ذاته تعالى فبثبوتها ثبوت الذات وبانتفائها انتفائها .

ونعتقد أنه واحد في أفعاله ، بمعنى أنه لا شريك له فيها ولا يشاركه في فعله أحد ولا يؤازره أحد ولا يعينه أحد . ولا يحتاج في إحداث خلق من مخلوقاته إلى أحد ولا مدخلية لأحد في احداث مصنوعاته . بل هو سبحانه المنفرد في الخلق والرزق والحياة والموت والمنع والعطاء . وهو الفاعل وحده . لا بمشاركة ولا بمؤازرة ، ولا بالتفويض إلى خلق من مخلوقاته . فالذي

---

(٣) زائدة من المتن .

يعتقد أنّ محمداً وعلياً والأئمة بأجمعهم أوكل واحد منهم (عليهم السلام) خالقون أو رازقون يُحيُون أو يُميتون بالإستقلال أو بالشراكة أو بالتفويض كتفويض الموكل أمره إلى وكيله في اجراء ذلك الفعل ، أو كالمُولي عبده في فعل من الأفعال ، فإنّ ذلك كافر كفر الجاهلية الأولى . وكذا لو قال بمدخلية الملائكة أو النجوم أو الكواكب في إحداث شيء من الأشياء وموجود في الموجودات .

ولكن الله سبحانه جعل العالم ، عالم الأسباب ، وأبى أن يجري فعله إلاّ بالأسباب ، جعل سبحانه الأشياء بعضها سبباً للبعض كما جعل المطر من أسباب الزرع ، والطعام والشراب من أسباب حفظ البدن ، والرحم من أسباب تربية الجنين ، والأب والأم من أسباب تحقق الولد وتكونه في هذه الدنيا ، وهكذا جميع الأشياء بروابطها وعللها ومعلولاتها .

وقد جعل الله سبحانه محمداً وآله (ع) هم السبب الأعظم في وجود هذا العالم . كالملائكة المدبرات والمقسمات والحافظات والمعقبات وغيرهم .

ونعتقد أنّه سبحانه واحد في عبادته ، وأنّه المعبود وحده ، لا يجوز لأحد أن يقصد غيره في العبادة ، فمن فعله إن كان عن اعتقاد فذلك كفر كعبدة الأصنام الذين عبدوها لتقربهم زلفى إلى الله ، أو عن غير اعتقاد فإن ذلك فسق مبطل للعمل . كأهل الرياء الذين يوقفون العبادة لأمر ملاحظاً الغير وكذلك لو يتوجه بالعبادة إلى أحد من الأئمة (ع) فلا تصح عبادته ولا تقبل بحال من الأحوال وطور من الأطوار .

ومن اعتقد أنّ الضمائر القرآنية الراجعة إلى الله ترجع إلى أمير المؤمنين (ع) أو إلى أحد من الأئمة (ع) فذلك ضالّ ، مُضلّ كافر مفتري . فمن يزعم أنّ الضمير في قوله تعالى : ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ يراد به أمير المؤمنين (ع) وهكذا غيره من الخطابات الإلٰهية التي في القرآن وغيره لو أرجعها إلى أحد من المخلوقين . لا سيما أمير المؤمنين (ع) كل ذلك زخرف من القول وزور .

وكذلك من يقول أنّ المراد من سورة التوحيد (قل هو الله أحد . . . .) هو أمير المؤمنين (ع) فهو كافر بالله العظيم .

وكذا من يقول إنّ أمير المؤمنين (ع) هو الذي لم يلد ولم يولد وكذا سائر ما كان من هذا القبيل فأيضاً كل ذلك زور وافتراء وكذب وتلبيس » .

ـ إعتقاد السيد في النبوّة :

« وأما في النبوّة فنعتقد أنّ الأنبياء كلهم مبعوثون من قبل الله طيبون ، طاهرون معصومون ولا تحصل منهم العيوب . هم المعصومون الذين تولى عصمتهم وطهارتهم علام الغيوب .

وإنّ الخمسة منهم أولو العزم . وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) ستة . منهم أولو الشرائع وهم : هؤلاء الخمسة بإضافة آدم (ع) .

وأن الشرائع الخمس منسوخات ما سوى الشريعة السادسة .

ونعتقد أنّ الشريعة السادسة حاملها محمد (ص) ، وإنها ناسخة لجميع الشرائع ، غير منسوخة أبداً . وإنّ تلك الشرائع كلها مقدمات لظهور شريعته (ص) .

وكما أنّ المراتب الخمسة التي هي النطفة والعلقة والمضغة والعظام واكتساء اللحم مقدمات لظهورالجسم الاعتدالي الذي هو حامي الروح ، وإنّه صلى الله عليه وآله سيد الأولين وسيد الآخرين ، وإنّه خير خلق الله أجمعين ، وإنّه صلى الله عليه وآله أول مخلوق خلقه الله تعالى ، وأول حادث صنعه الله ، وأول موجود أوجده الله ، لم يسبقه في الوجود سابق ولا يلحقه في الفضل لاحق ولا يطمع في ادراك نوره طامع وإنّه صلى الله عليه وآله ، قد خلقه الله قبل الخلق وقبل الكون والمكان والزمان وقبل الإبتداع وقبل الإختراع .

ونعتقد إنه صلى الله عليه وآله ، أتى بالمعجزات البينات وخوارق العادات ما تصدق به نبوته ، وتظهر شريعته ، فمنها القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وهو أكبر

المعجزات وأبين الآيات وهي الباقية بعد محمد (ص) ما دامت نبوته التي لا تنقطع أبداً ولا تبطل سرمداً . ومنها شق القمر ومنها قلب العصي ثعباناً ، ومنها المعراج ، فقد عرج بجسمه الشريف بل ببشريته ، بل بكثافة بشريته وثيابه ونعليه إلى أن صعد السموات والكرسي والعرش وخرق الحجب والسرادقات ، فالذي يعتقد إنه صلى الله عليه وآله عرج بروح أو بجسم مثالي أو بجسم آخر غير الذي في الدنيا فقد كذب وافترى وضلّ وغوى وكان من الأخسرين الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون » .

ـ إعتقاد السيد في الإمامة :

« وأما في الإمامة فنعتقد أنّ كل نبي لما كملت أيامه وتعدت حياته عيَّن له وصياً قائماً مقامه من الله سبحانه وتعالى ، يقوم بأمره في رعيته ويحكم بعدله في أمته .

ونعتقد أن رسول الله (ص) قد أوصى إلى أمير المؤمنين (ع) ونصّبه خليفة لنفسه على أمّته يوم غدير خم ، وأمر الناس أن يسلموا عليه بأمرة المؤمنين .

ونعتقد أنّ الله تعالى جعل الإمامة كلمة باقية في عقب أمير المؤمنين (ع) ولا تزال الدنيا إلاّ وفيها إمام في دولة محمد (ص) من ذرية أمير المؤمنين (ع) فدوام الدنيا بدوامهم وتضمحل وتفسد إذا انتقلوا عنها وهي لهم باقية وعنهم مستمدة وهم حاملوا عطاء الله الذي قال تعالى : **﴿كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾** .

ونعتقد أنهم ورسول الله (ص) من نور واحد ، وطينة واحدة ورتبة واحدة ، إلاّ أنّ لرسول الله (ص) الفضل السابق ، كفضل القلب على الأعضاء والجوارح ، ثم في الفضل أمير المؤمنين (ع) ، فضّل الصدر على باقي الجوارح ، ثم الحسن ، ثم الحسين عليهما السلام ، ثم القائم (عج) ثم الأئمّة عليهم السلام الثمانية ثم الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام .

وأما فضل أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام لقول رسول الله (ص) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما ، واما فضل القائم

عجل الله تعالى فرجه من قول النبي صلى الله عليه وآله تاسعهم قائمهم أفضلهم ، وأما فاطمة عليها السلام بعدهم بمقام الذكورة والأنوثة في كل رتبة بحسبها وفاطمة عليها السلام أفضل من جميع الأنبياء والرسل وجميع الخلق ما عدا الأئمة الاثني عشر . ولكنها منهم إنها القمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر انها لإحدى الكبر نذير للبشر .

ونعتقد أنّ الأئمّة عليهم السلام مبعوثون على كل المكلفين ممن يصحّ عليه التكليف كائناً من كان بالغاً ما بلغ ، وإنهم حجج الله على الخلق ، وأن الله تعالى لم يفوِّض إليهم أمر خلقه بل هم ﴿**عباد مكرومون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكل من ادعى فيهم خلقاً بمعنى أن يدّعي فيهم الإستقلال أو الشركة مع الله أو تفويض الأمور إليهم باعتزال الله ، أو يعتقد أنهم أفضل من رسول الله أو يساوونه في جميع المزايا والأحوال ، فذلك هو الغلو والإرتفاع الذي معتقده كافر بالله .

ونعتقد أنّ من نزّلهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها وأنكر فضلهم وجعل واحداً من المخلوقين أولى منهم في فضيلة أو كرامة ، أو ساوى غيرهم بهم ، فذلك ملعون منافق خارج عن مذهب الحق ، وليس له طريق إلى الصدق .

ونعتقد أنّ الحسين بن علي أمير المؤمنين عليهما السلام قد قُتل مظلوماً سعيداً شهيداً لحكم ومصالح وأمور استحكمت قواعدها من عالم الذرّ الأول . على ما فصلت وشرحت في رسالة (أسرار الشهادة) .

ومن ادعى أنه لم يقتل ولكن شُبِّه للناس ، فذلك كافر ملعون رجس نجس ، لا يكلمه الله يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب عظيم ، لأنه مُكذِّب لله ولرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين وللأئمة عليهم السلام » .

ـ إعتقاد السيد في المعاد :

« وأما في المعاد فنعتقد أنّ الله سبحانه يحشر الأجساد والأرواح ويجعل الأرواح في الأجساد الدنيوية الموجودة في الدنيا المحسوسة المرئية الملموسة ، فيبعثها في القيامة ويجري عليها الثواب والعقاب .

ومن اعتقد أنّ هذا البدن الدنياوي الموجود في الدنيا لم يبعث يوم القيامة فذلك كافر ملعون مردود . بل المحشور يوم القيامة هو هذا البدن الدنياوي ، لكنه على صورة مختلفة من حُسن وقبح وغير ذلك .

فيقفون يوم القيامة تحت منبر الوسيلة وعلى الصراط وعند الميزان وسائر المواقف حتى يؤل أمرهم إما إلى الجحيم أو إلى النعيم . نستجير بالله منها ومن عذابها ونكالها » .

ـ إعتقاد السيد في علماء الشيعة :

« ونعتقد في العلماء المجتهدين أصحابنا الماضين المرضيين من أهل الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى ، من مبدئها إلى منتهى زماننا ، كالمفيد وعلم الهدى والشيخ الطوسي وابن طاووس والمحقق والعلامة وابن البراج ، والشهيدين وسائر علمائنا الفقهاء هم أساطين الدين والحكام على المؤمنين ، وإنّ طاعتهم واجبة على مقلديهم ولا يُعذرون بعدم التقليد . ويجب على الجاهل أن يسأل من العالم ويأخذ دينه منه ويعتمد في علمه عليه ، وإلاّ كان عمله باطلاً وسعيه غير مشكور ، وإنّ عملنا في كيفية استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية ما عليه أصحابنا المجتهدون على النهج المقرر في الكتب الأصولية .

فهذا الذي ذكرناه لك ، هو الذي نحن عليه ، وهذه الطريقة كل من أنكرها خارج عن الدين ، مكذب لما أتى به سيد المرسلين عليه وآله صلوات المصلين أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وأما قولك ـ أدام الله تسديدك ـ أنّ تثبت ما أنتم عليه وتنفي جميع ما

عداه ، فجوابه ، إنّ الذي نحن عليه هو الذي ذكرناه وأثبتناه ، معلوم بالضرورة من الدين وإن كان شيء من هذه المذكورات ، إما إنكاراً للضرورة أو انكاراً للوازمها ، وأما نفي جميع ما عدا ما نحن عليه ، فاعلم أنّ ما عدا ما نحن عليه من الأمور التي ذكرناها من العقائد لا شك أنه كفر ، إذ ما بعد الحق إلّا الضلال . فإنّ الذي يخالفنا إن كان يرى بطلان ما ذكرناه من العقائد فلا ريب أنّ ذلك كافر بالله ، ومكذب بهذا الدين في أغلب الأحوال ، وإن كان مصدِّقاً بهذه العقائد فأي مخالفة له معناه ؟ وأي نزاع بيننا ؟

فإن كانوا يقولون : إنك كاذب في هذه الدعوى ، فقلبك يخالف لسانك ، نقول هذا تكذيب لقول الله﴿**ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً**﴾ .

ثم إنّ هؤلاء يزعمون أنهم رأوا من شيخنا ـ أعلى الله مقامه ـ عبارات تُنافي هذه العقائد المذكورة ، وقد ثبتت عندهم بضرورة الإسلام أنّ العبارات إذا ما صدقها الناقل فظاهر مدلولها ، بل إنما قصد منها معنىً حسبما يعرفه أهل الفن والعلم من المعاني الحقّة يجب تصديقه ولا يجوز تكذيبه ، لأنّ مراد المتكلم إنما يعرف من بيانه ، والكلام وسيلة لمن لا يحضر ، فإذا حضر وبيَّن المُراد وجب تصديقه ولا يجوز تكذيبه ، والقول بأنّ هذا ليس مرادك ، وإني أعلم بمرادك منك فَمِن أسخف الأقوال وأشنع الأفعال ، بل خروج عن ضرورة الإسلام ، وتكذيب بما جاء به النبي عليه وآله السلام . . . »[٤] .

كما أنّ السيد ـ أعلى الله مقامه ـ قد أشار وبيّن أنّ طريقة ونهج الشيخ الذي سلكه السيد وأتباعه ، لا يختلف إختلافاً يؤدي إلى خروج فرقة الشيخ وأتباعه عن الدين وجعل فرقة الشيخ من الفرق الثلاث والسبعين الذين أشار إليهم صلى الله عليه وآله ، بل فرقة الشيخ وتلامذته هي نفس ما عليه الإمامية الإثنا عشرية لا زيادة ولا نقيصة .

فإنّ بعض المؤمنين ـ حفظهم الله ـ قد سألوا السيد عن الإمتيازات

---

(٤) مجموعة الرسائل للسيد الرشتي : ج٢ ، س٧ ص٣١٩ ، ط حجرية .

والفروقات التي عليه الشيخ وأتباعه وبين الأصوليين والإخباريين . فهل امتياز فرقة الشيخ والفريقين الإخبارية والأصولية هم من الفرق الثلاث والسبعين ، أم هم على وتيرة واحدة ، لكن الإختلاف في الرأي .

ـ نهج الشيخ وأتباعه نهج إمامي اثني عشري :

فأجاب السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ عن هذا السؤال بقوله :

« وأما جعلكم الإخباري والأصولي فريقين من الفِرق الثلاث والسبعين ، وجعل طريقتنا ممتازة عنهما فرقة ثالثة فغير صحيح ، كيف وقد حكم رسول الله (ص) على الكل بالنار والهلاك والكفر إلاّ فرقة واحدة منهم . كما قال صلى الله عليه وآله اتفاق من المسلمين : (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة في الجنة والباقون كلهم في النار) .

وكيف يمكن أن يجعل الإخباري والأصولي من هذه الفرقة المِختلفة التي نجاة أحديهما مستلزمة لهلاك الأخرى ، مع أنّ ربهم ونبيهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة وأئمتهم واحدة ؛ وهم الإثنا عشر عليهم السلام ، وكذا سائر أعمالهم وعباداتهم ، ولم يخالف الإخباري والأصولي شيئاً يخالف إجماع المسلمين ليكفروا ، أو إجماع الفرقة الإثني عشرية ليخرجوا عن مسلكهم وبعض الإختلافات الواقعة فيهم لا يخرجهم عن وحدتهم ، بل كلهم فرقة ناجية واحدة من فرق الشيعة الإثني عشرية واختلافهم في بعض الجزئيات إنما هو من جهة عيب السفينة كما قال عزّ وجلّ حكاية عن الخضر : ﴿**فأردت أن أعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا**﴾ . وقال عليه السلام : « أنا الذي خالفت بينكم » وقال عليه السلام : « راعيكم الذي استرعاه الله أمر غنمه أعلم بمصالح غنمه إن شاء فرّق بينها لتسلم وإن شاء جمع بينها لتسلم » .

وليس اختلافهم في الضروريات حتى يُؤدي إلى ما قلت ، واقرار الأُصولي بالإجماع ليس كما زعمه مخالفونا من إجماع أهل الحل والعقد ، وإلاّ لَمَا سَاغَ لهم مخالفتهم ، وإنمااجماعهم هو الإتفاق المُوجب للقطع بدخول المعصوم عليه السلام ، بين المتفقين أو رضاه .

وهذا هو الدين المبين ، وكذا انكار الإخباري للإجماع ليس من جهة أنه كاشف عن قول المعصوم (ع) . ويعاندون وينكرون قول المعصوم (ع) حاشاهم عن ذلك . وإنما الكلام بينهم في الموضوع وتحقق هذا الإجماع الكاشف عن قول المعصوم (ع) .

ويقولون بعد ما فرض الكشف ، فالعمدة والإعتبار بقول المعصوم (ع) لا الإجماع . فإذن لا حُجّة إلى الكتاب والسنّة .

والأصوليون يقولون طرق السنّة مختلفة ، منها طرق قطعية ، وهي ما يحصل من التواتر المعنوي والأخبار المحفوفة بقرائن القطع والإجماع .

ومنها طرق ظنية وهي بخلاف ما ذكرنا . فمآل الإجماع إلى السنّة لكن بشرط عدم تمايز قول المعصوم (ع) ، عن قول المجمعين ، وإلّا يكون ظنياً ، لقولهم (ع): « إني لأتكلم بكلمة وأريد منها أحد سبعين وجهاً ، لي لكل منها المخرج » .

فصحّ أنّ نزاعهم ليس من جهة ردّهم لقول الإمام (ع) ، وإنما هو في أصل التحقيق ، وكذا نزاعهم في العمل بالظن ، فإنّ الأصوليين ما يعملون بالظنّ من حيث هو ظن وحاشاهم ، وإنما يعملون به حيث ما دلّ الدليل القطعي عندهم على صحة العمل بذلك ، فح يعملون بالقطع ولا يعملون بالظن ، كما دلّ الدليل على العمل على الشك في الصلاة ، والوهم في الأشياء التي دلّ الدليل القطعي على أنّ للأصل فيها الطهارة ، فلو ظنّ النجاسة ويحتمل الطهارة احتمالاً مرجوحاً ، يعمل على الإحتمال المرجوح لا الراجح ، إلّا إذا قطع بالنجاسة والظنّ كما في شهادة العدلين وأمثال ذلك . وبالجملة فالنزاع والخلاف بينهم ليس في الأمور الكلية حتى يورث تباين المسلكين ، وإنما هو لبعض الجزئيات لعدم الدليل عليه لبعض ووجوده البعض الآخر .

وقد أذن لهم مولانا الكاظم (ع) بذلك حيث قال (ع) ما معناه : أمور الأديان أمران ، أمر لا اختلاف فيه ، وأمر فيه اختلاف ، فما ثبت لمنتحليه مجمع عليه تأويله أو سنّة عن النبي (ص) لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف

العقول عدله . ضاق لمستوضح تلك الحجّة الرد إليه والتسليم له ، وما لم يثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله أو سنّة عن النبي (ص) لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ومع خاصّ الأمّة وعامّها الشكّ فيه والإنكار له ، فما ثبت لك برهانه أثبته وما خفي لك بيانه نفيته حينئذٍ .

فكلهم فرقة واحدة من الفرق الناجية التي في الجنة إلّا بسوء أعمالهم وفساد ضمائرهم وعقائدهم . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم .

وأما طريقتنا في استنباط الأحكام الإلٰهية ، هي كما اختاره الأصوليون من الإستدلال بالأدلّة الأربعة من الكتاب والسنّة والإجماع ودليل العقل والشهرة والإستصحاب وأصالة البراءة وأمثالها من الأدلّة والأحوال ، إلّا أنّ في كل واحد من هذه الأمور لنا أدلّة من الحكمة تحتار عندها العقول ، وتذهل لديها النفوس ، فمن وصل إليها فهي الرشد والهداية ، ومن لم يصل إليها فهذه الطريقة التي عليها فقهاؤنا المجتهدون هي المعمول بها ، وتلك الطريقة لا تخالف ما ذكروا ـ رحمهم الله ـ وبذلوا مجهودهم ، إلّا أنّ أهل الإستنباط لهم أذواق وحركات سريعة وبطيئة ومتوسطة ، ولكل رأيت منهم مقاماً شرحه في الكلام يطول والسلام »[٥] اهـ .

فبعدما أشرقت شمس الحق والحقيقة ، من لسان هذا المظلوم السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ على الشبهات التي ألقيت عليه ، حتى بلغ الأمر من بعض المؤمنين ، تضليل عقيدته ، بل تكفيره ، واخراجه عن الدين ، وعن زمرة سيد المرسلين (ص) ، بقول بعض الفضلاء : « وأكثر الفساد نشأ من أحد تلامذته[٦] السيد كاظم الرشتي ، والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظن أن يقول الشيخ بها » .

إني في الحقيقة لا أحب أن أخطىء هذاالقول القذر الذي منشأه القيل

---

(٥) مجموعة الرسائل للسيد كاظم الرشتي : ج١ ـ س١٩ ، ص٤٣ ـ ط حجرية .
(٦) أي الشيخ أحمد الإحسائي .

والقال وعدم التفحص من أصحاب الرجال ، بل يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولكني سأترك القارىء الكريم هو الذي يحكم على هذا السيد المظلوم . هل صحيح انه فاسد العقيدة كما ذكره هذا الفاضل ؟ أم هو من الذين ظُلموا وضُللوا ظلماً وبهتاناً ؟ قال تعالى : ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ .

هذا وأهل البيت (ع) قد أدَّبونا عن أذية المؤمنين وإساءة الظن بهم . قال الإمام الصادق (ع) : « إذا بلغك عن أخيك شيء وشهد أربعون انهم سمعوه منه فقال : لم أقل ، فأقبل منه » .

وقال أيضاً (ع) : « كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك ، فإن شهد عندك خمسون قسامة ، إنه قال ، وقال : لم أقل ، فصدِّقه وكذِّبهم » .

كل ذلك حفاظ على بيضة الإسلام ووحدة الكلمة ، والإعتصام بحبل الله .

وقال الإمام الصادق (ع) : « إذا قال الرجل لأخيه : « أفّ » انقطع ما بينهما من الولاية . وإذا قال : « أنت عدوّي » كفر أحدهما . فإذا اتهمه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء » .

ـ إختلاق الكشفية :

من الإختلافات التي لاكتها الألسن والمغالطات التي سطرتها الكتب من اسطورة الكشف والكشفية ، ونسبتها إلى بعض تلامذة الشيخ الأوحد ، حتى أنّ البعض جعل الكشفية قسماً من أقسام الشيخة ، قال السيد محسن الأمين : « ودعوى الكشف والإلهام والخروج عن ظواهرالشريعة إلى بواطنها بدون برهان قطعي ولا نص جلي ، لا يقبل الإحتمال ولا التأويل مفسدة ما بعدها مفسدة وبسببها كان ضلال بعض الفرق وخروجها عن دين الإسلام »[٧] .

فنسبة الكشفية إلى الشيخ وأتباعه كلام غير صحيح ، ومبناه تفرقة الشيعة

---

(٧) أعيان الشيعة ـ مادة أحمد زين الدين الاحسائي .

الإمامية إلى أحزاب وفرق . فلم يدَّعِ الشيخ ولا تلامذته ، الكشف ، ولا من مذهبهم الكشف .

وما نسبة السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ إلى أستاذه بالكشف والإلهام . فهو محمول على المبالغة في نعت أستاذه ، لما يرى منه من عقلية متوقدة وسرعة البديهة واستحضاره لأغلب العلوم وكأنها حاضرة عنده من دون مراجعة كتاب . بل يجيب على أغلب العلوم في وقته وحينه . فالسيد ـ أعلى الله مقامه ـ كصفته تلميذاً للشيخ ، والتلميذ كما هو معروف يحب أن يبالغ في مدح أستاذه وإعلاء مقامه بأن علمه هذا ليس اكتسابياً ، بل علم الهام من رب العالمين ، لأنه يهب لمن يشاء ويمنع لمن يشاء .

وأما قول السيد محسن الأمين العاملي ـ عليه الرحمة ـ بأنّ الكشف هي طريقة تعنى ببواطن النصوص مع مخالفتها للظواهر كما عليه جماعة من الصوفية ، فإنهم يعنون بالبواطن مع ترك الظواهر والعمل بها كتركهم الصلاة والصيام والحج وسائر التكليفات الظاهرية وذلك لادعائهم أنهم وصلوا إلى رتبةٍ ومقام ، هي رتبة اليقين ، وهذه الظواهر من العبادات الظاهرية لا تنفع في هذا المقام ، أي مقام اليقين ، لأنّ هذا المقام كمالي بقطع الأسفار الأربعة . وأما العمل بهذه العبادات المذكورة فهي مقام القاصرين الذين لم يبلغوا هذا المقام اليقيني كما قال تعالى : ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ .

فالجماعة من الصوفية وبعض الفرق الإسلامية عنوا بتفسير البواطن للنصوص مع ترك العمل بظواهر الشريعة .

وذلك مثل تفسير قوله تعالى : ﴿**إنّ الذين كفروا**﴾ يعني بغير الله ـ ﴿**سواء عليهم ءأنذرتهم**﴾أن يرجعوا إلى ما سوى الله ، ويعاملوا الناس بما يعرفون ﴿**أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾بما سوى الله﴿**فختم الله على قلوبهم**﴾ فلا يعرفون إلى الله ﴿**وعلى سمعهم**﴾ فلا يسمعون إلاّ صوت الله ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ فلا يرون إلاّ الله ﴿**ولهم عذاب**﴾ من المحبة ﴿**عظيم**﴾ شأنه عند الله »[٨] .

---

(٨) صحيفة الأبرار : ص٢٣ .

فهـذه الطريقـة والمذهب من تفسيـر الآيـات القـرآنيـة المحكمـة بهـذا التفسيـر ، لا أعتقد أنّ مسلمـاً يقبل ذلـك ، لما فيـه من التحـريف والتعـطيـل والتأويل الباطل المخالف لظواهر القرآن والشـريعة المحمـدية صلى الله عليـه وآله .

ومقابل هذه الطريقة ، طريقة العمل بالبواطن للنصوص مع الحِفاظ على تأدية الظواهر على أكمل وجه ، كما عليه علماء العرفان .

فإذا كان تفسير الآيات بالباطن مع عدم مخالفتها للظواهر فلا مشاحة في ذلك بل يكون محبذاً وأثبت قدم وأرسخ عقيدة .

ـ انحراف البابية والبهائية عن الدين :

البابية هي فرقة من الفِرق التي خرجت عن الـدين الإسلامي بـوحي من الإستعمـار الروسي واليهـودية العـالمية والإستعمـار الإنكليزي ، بهـدف افساد العقيدة الإسلامية .

نشـأت البـابيـة سنـة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م على يـد الميـرزا علي محمـد الشيرازي (١٢٣٥ ـ ١٢٦٥هـ) . أعلن أنه البـاب سنة ١٢٦٠هـ . وعنـد وفاة البـاب قام بـالأمر من بعـده الميـرزا حسين الملقب بـالبهـاء، وسمى الحـركـة بالبهائية، وله كتاب سماه « الأقدس » وقد توفي سنة ١٨٩٢م .

فقد اتفق المسلمون قاطبة على انحراف البابيـة والبهائيـة ومروقهمـا عن الـدين الإسـلامي لابتـداعهم ببـدع مخـالفـة لـلإسـلام بـوحي من الإستعمـار الروسي ، فالبابية هي بمعزل عن الشريعة الإسلامية من مبادىء هدّامة وعقـائد فاسدة .

فأهم مبادئهم وأسسهم التي شرّعوها كالآتي :

ـ موافقتهم اليهود والنصارى في صلب المسيح .

ـ تأويلهم القرآن الكريم بتأويلات باطنية تتمشى مع أهدافهم ومآربهم .

ـ نكرانهم معجزات الأنبياء وحقيقة الملائكة والجنّ ، كما أنهم ينكرون

الجنة والنار .

ـ قولهم بأنّ دين الباب ناسخ لشريعة محمد (ص) .

ـ تأويلهم القيامة بظهور البهاء ، أما قبلتهم فهي البيت الذي ولد فيه الباب بشيراز .

ـ نكرانهم كون النبي محمد (ص) خاتم الأنبياء والمرسلين .

ـ إدعاؤهم باستمرار الوحي ، كما أنهم ابتدعوا كُتباً معارضة للقرآن الكريم .

ـ تقديسهم العدد (١٩) فرتبوا على ذلك أن جعلوا عدد الشهور بـ (١٩) يوماً واليوم (١٩) ساعة .

ـ إدعاء الباب بأنه الإمام المهدي عليه السلام .

ولكن ويا للأسف على رغم بطلان هذا المذهب والدين عند جميع المسلمين ، إلاّ أنّ بعض الكتّاب المُوالين المؤمنين ينسبون هذا الدين ـ دين الباب ـ ومذهبه إلى السيد كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ بقول بعضهم « وأكثر الفساد نشأ من أحد تلامذته[٩] السيد كاظم الرشتي . والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظنّ ان يقول الشيخ بها ، بل المنقول ، أنّ السيد علي محمد الشيرازي المعروف بالباب والذي يدّعي دعاوي فاسدة ، هو سَمَّاه الباب . وكذا سمى بُنت صالح القزويني قرة العين . وإن لم يعلم رضاه بما ادعاه الباب وَقرَّة العين . والباب صار سبباً لاضلال جمع كثير من العوام والخواص وصار سبباً لقتل نفوس كثيرة »[١٠] .

فليت شعري متى سمى السيد كاظم الرشتي هذا الفاسق الباب بالباب .

فهل هذا الكاتب وجد وثيقة تسند كلامه ، أو خِطاباً يُمتِّن مقاله ، أم من

---

(٩) أي من تلامذة الشيخ أحمد الاحسائي .

(١٠) مجلة الموسم نقلاً عن السيد شفيع بقلم أحد الكتّاب المعاصرين : ص١٦٨ .

القيل والقال ؟ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

بالله عليك يا أخي المؤمن ، لو وضع هذا الكاتب في قبره وسئل عن تفسيق هذا السيد المُمتحن السيد كاظم الرشتي وتضليله بالخروج عن الدين لأنّ البابية خارجة عن الدين ، وعلى هذا الزعم يكون السيد خارجاً عن الدين والملّة . ماذا سيقول ؟ هل سيقول إني سمعت من فلان وفلان وحكمت على هذا السيد بهذا الحكم المخرج عن الدين ؟ أم يقول لا أدري ؟ أم لا هذا ولا ذاك بل المرء عدو ما جهل ؟

قال الإمام علي (ع) : « ضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك ما يقلبك عنه ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير سبيلاً » .

وقال الإمام زين العابدين (ع) : « إنّ المؤمن أخو المؤمن ، لا يشتمه ولا يحرمه ، ولا يسيء به الظّنّ » .

قال تعالى : ﴿إنّ كثيراً من بعض الظن إثم﴾ ـ فالوقوف عند الشبهات خير من اقتحام الهلكات » .

حتى آل بالبعض في عدوانهم لهذا السيد المظلوم السيد كاظم الرشتي ، أن جعلوه رجلاً ماجناً غير ملتزم بالأدب بأن نسبوا لقب (قرة العين) إلى السيد بأنه هو الذي سمى بنت صالح القزويني بـ « قرة العين » والمعروف من هذه المرأة المجون والخلاعة والبَغاء حتى أنها أباحت الزنا ، وادّعت بأنّ شريعة الباب نسخت شريعة النبي محمد (ص) ، قالت في أحد خطبها في الجماهير : « اسمعوا أيها الأحباب والأغيار ، اعلموا أنّ أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأنّ أحكام الشريعة الجديد البابية لم تصل إلينا ، وأنّ انشغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة ، وسائر ما أتى به محمد كله لغو . وفعل باطل ولا يعمل بها إلّا كل غافل وجاهل . إنّ مولانا الباب سيفتح البلاد ويسفّر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة حتى لا يبقى إلّا دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه

الجديد وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلاّ نزر يسير . فبناءً على ذلك أقول لكم ـ وقولي الحق ـ لا أمر اليوم ، ولا تكليف ، ولا نهي ، ولا تعنيف ، وإنّ نحن الآن في زمن الفترة »[١١] .

فهل يا ترى يا أخي المؤمن ، أن يسوغ لرجل يدين بالله تعالى ويؤمن بيوم الحساب ويعتقد بوجود الجنة والنار ، والميزان والصراط أن يتقول على هذا العبد الممتحن السيد كاظم الرشتي وينسب إليه بأنه قد سمى هذه المرأة الباغية الخارجة عن الدين وزمرة سيد الموحدين محمد (ص) بـ « قرة العين » الذي عُرف منها المجون واباحة المحرمات ؟

فليت شعري هل هذا الكاتب الذي نسب هذه الفرية وهذه الجريمة إلى هذا السيد المظلوم كاظم الرشتي ـ أعلى الله مقامه ـ أتى بنص جلي ، أو وثيقة تدعم دعواه المجتثة ؟ كلا ثم ألف كلا ، فكل ما هنالك انه يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

لا يُقال : إنّ السيد كاظم الرشتي قد أتى بمطالب وعرة على العقول صعبة على القبول لغرابة ألفاظها ، وغزارة ابعادها ، وكل من كان كذلك فهو مخالف للدين والعقيدة . لأنّا نقول : إنّ هذا الكلام يجرنا إلى رفض جميع العلوم الغريبة على أذهاننا ، الحديثة على طبائعنا وعاداتنا ، ولا أعتقد أنّ أحداً يرى هذا الكلام صحيحاً وفيه ذرة من التعقل والمعرفة أبداً .

فلا أحد من العلماء الإمامية أبطَلَ دعاوي الباب الفاسدة وقتل آراءه الكاسدة ، سوى تلامذة الشيخ الأوحد ، فالذي أمر بصلب الباب وقتله هو الملا محمد الممقاني المعروف بحجّة الإسلام ، وهو من أكابر تلامذة الشيخ ، والد حجّة الإسلام الميرزا محمد تقي الممقاني حجة الإسلام ، صاحب كتاب صحيفة الأبرار .

فعندما ذكر حجّة الإسلام الميرزا محمد تقي الممقاني عقيدته في كفاية

---

١١) البهائية تاريخها وعقيدتها : ص٩٩ .

الإمام الغائب وعدم الإحتياج إلى رجل يكون باباً للحجّة بمثابة الكلّ في الكلّ ، عرج إلى دعاوي الباب وصلبه بأمر من والده المعظم محمد الممقاني بقوله : « وإنما أطلنا الكلام في بيان هذا المرام مع أنّ المقام لا يقتضي ذلك لداعٍ دعاني إليه وهو اني رأيت هذه الشبهة قد سرت من العامّة في طائفة من القاصرين من الإمامية من أهل زماننا هذا ، غير أنهم لما كان لا مناص لهم من الإعتقاد بوجود حجّة عجّل الله فرجه وغيبته ، زادوا في الطنبور نعمة أخرى بان سَلَّموا على العامة عدم كفاية الإمام الغائب عن الأبصار في قوام العالم ، واستدركوه بوجوب وجود حجّة حيّ ظاهر في الأرض قائم مقام الغائب وبدل عنه ، بدل كل من كل حتى يمكن أن يفيد فائدته ويؤدي وظيفته من جميع الوجوه ، فبعثهم هذا الوهم الفاسد والزعم الكاسد إلى أن تركوا الأوطان والعيال ، وخرجوا يجوبون البيد والجبال رجاء أن يفوزوا بلقاء شخص هذا الإمام المختلق الموهوم ، فأحسن منهم أثر الحماقة بالكياسة سامري ، قد كان عجنت طينته قديماً بحب الرياسة ، فأخرج لهم من غلمان فارس عجلاً جسداً له خوار .

فظلّ هؤلاء الأنعام بين يديه ساجدين وعلى عبادته عاكفين حتى أشهر أمره في أقطار البلاد ولبّاه كل من كان في قلبه زيغ من الزندقة والإلحاد ولما رأى العجل هؤلاء الحمير يهرعون إليه من كل جانب أخرج لهم كتاباً موضوعاً . زعم أنه الكتاب المخزون عند الحجّة الغائب ولكنه لعدم ربطه في القواعد العربية ، وعيبه في معرفة العلوم الدينية الإلٰهية ، قد كان خرج من البدو إلى الختم ملحونة الألفاظ والمعاني ، منحرفة القواعد والمباني . ومع ذلك كله تلقاه الحمير بالقبول من غير نكير ، واعتذروا عن لحن الألفاظ بانتساخ قواعد العربية . وعن لحن المعاني بقصور أفهم البرية عن معرفة حقائقها الخفية . وبين هذه وذه كلفوا الناس بالتصديق بما فيه من الإيمان بظاهرة وخافية فيها . لها قصة في شرحها طول . وبقي على تلك الحال مدة إلى أن أخذ وحبس وأدخل بلدنا تبريز ، ففضحه الله بيد الوالد العلامة حجّة الإسلام ـ أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه ـ بالمحاورة العلمية ثم بالحكم بصلبه وقتله بعد اتمام الحجّة

واصراره على غيه وجهله ودعواه صريحاً أنه القائم المنتظر فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »[١٢] .

ففي الحقيقة والواقع ، نسبة البابية والبهائية إلى الشيخ الأوحد وتلامذته ، نسبة افتراء وظلم وعدوان ، هدفها تشويش وتضليل فكرة الشيخ وتابعيه .

فقول بعض الكتّاب المعاصرين : « وكذلك إذا أدركنا أنّ ظهور الشيخية كان مزامناً لظهور البابية ، ومن مصدر واحد هو السيد الرشتي . ومن هذا السيد ـ كما رأينا ـ كانت البذرة لوجود الشيخية كفرقة ، وفي كربلاء »[١٣] .

كفـــى تفرقـــة :

فبعد ما أوضحنا وبيّنا سابقاً من رفع شبهات واثبات حقائق للشيخ وأتباعه فإني الآن أنزّه يراعي وأحفظ وقتي من التضييع من الخوض في هذه المهازل التي مبناها التفرقة واظهار مكنون أحقاد سالفة قديمة . حتى أنّ هذا الكاتب قسم وحزّب الفرقة الناجية وهي فرقة الشيعة إلى تكتلات وفرق . نحن ولله الحمد في غنىً عنها ، بتقسيمه :

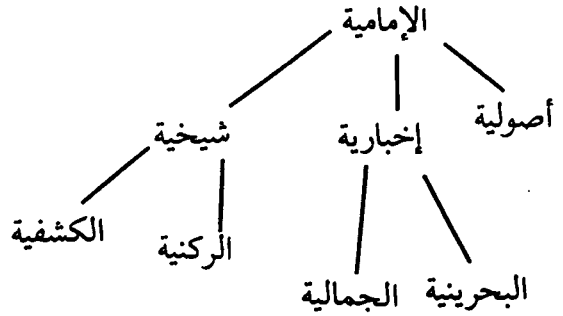

فبالله عليك ، أخي المؤمن وأختي المؤمنة ، هل هذا التفرق والتقسيم

---

(١٢) صحيفة الأبرار : س٢٩ ، من صفحة ٣٩ ـ ط ـ صوت الخليج .
(١٣) مجلة الموسم العدد التاسع والعاشر : ج٣ ١٤١١هـ/١٩٩١م .

موافق لقوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا﴾ وقولـه تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم﴾ .

فما أدري من هذا الكاتب الفاضل على تقسيمه الشيعة الإمامية إلى هذا التقسيم ، إلى أصولية وإخبارية وشيخية وكل قسم له أقسام متعددة ؟

هل يعني هذا الفاضل من أنّ فرقة من الفرق المذكورة ناجية والباقية في النار ؟ والفرقة الناجيـة هي التي يتبعها والفـرق الأخرى المختلفـة عن طريقتـه وفرقته ، في النار ؟

أم أنّ بعض الفِرق أنكرت ضرورة من ضروريات الدين أو سنّة من سنن المرسلين محمد صلى الله عليه وآله ؟ أو أنكرت أحد هذه الفِرق ، أحد الأئمة عليهم السلام كما في الكيسانية والأفطحية والواقفية والزيدية ؟

أم لا هذا ولا ذاك ، فالتقسيم وليد اختلاف الآراء والأنظار في المسائـل المتفق عليها ؟

فلو كان الأمر كـذلك يلزم منـا أن نفرق ونكتـل ونحزب جميـع علمائنـا وفقهائنا ، كل عالم وفقيه إلى مجموعة وفرقة لأنّ رأيه ونـظره في هذه المسـألة مخالف عن غيره .

والمعلوم عند علمائنا المجتهدين ـ قديماً وحـديثاً ـ الإختـلاف في الآراء حتى يكاد يكون أحدهم يحلِّل هذا الشيء والآخر يحرمه . وهذا لا يخفى من جاس خلال تلك الديار .

مثلاً في وقتنا الحاضر ، من العلماء العلامـة السيد أبـو القاسم الخـوئي ـ رحمه الله ـ وله آراء ومسائل مخالفة للسيد السبزواري السيد السبزواري له آراء مخالفة للسيد محمد الشيرازي ، والسيد محمد الشيرازي له آراء مخالفة للمولى الميرزا حسن الحائري والمولى الميرزا حسن الحائري له آراء ومسائل مخالفة لأساطين العلماء . وهكذا . . . ونطلق على كل واحد منهم فرقة خاصة وحزب مخصوص يميِّزها عن غيرها ، لأن آراءهم مختلفة وأنظارهم متباينة .

فعلى ما أظنّ أنّ هذا التقسيم الخُرافي المجتَّث يعجب هذا الكاتب لما في هذا التقسيم النصرة لفرقته ومذهبه كما يدَّعيه .

صرخة إلى الوحدة والتكاتف :

فيا أبناء الإسلام والعقيدة ، تعالوا نُنادي من مسرح الوحدة والتكاتف بصوت الإعتصام والتآلف ، هاتفين صارخين معربين عن عقيدتنا ونهجنا الذي سنّه لنا رسول الله (ص) : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فهيا بنا نتساعد جميعاً لرفع راية **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تَفرَّقوا﴾** وهيا بنا نجوب العالم قائلين لأعدائنا وحاسدينا ، بأننا أخوة يرحم بعضنا بعضاً ويصل أحدنا الآخر ، لأننا مؤمنون بالله ، رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً ، وبالقرآن كتاباً من عند الله ، وبالكعبة قبلة ، فربُّنا واحد ، ونبينا واحد ، وأئمتنا واحد وكلنا واحد . قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتَّبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين﴾** .

جوار السيدة زينب عليها السلام
دمشـــق ـ سوريـا
والسلام على تابع الهدى
الحقير عبد الجليل الأمير

الفـــــهرس

الاهداء ٥
المقدمة ٧
تطلعات حول شيخ المتألهين ١٣
نسبه ١٣
تولده ونشأته ١٣
الدور الأول ١٤
الدور الثاني ١٧
رأي ابن عربي في فرعون ٢١
رأيه في قوم نوح ٢١
رأيه في وحدة الوجود ٢٢
ابن عربي والرؤيا ٢٣
المقامات الأربعة لأهل البيت (ع) ٢٥
مقام البيان ٢٦
مقام المعاني ٣١

مقام الأبواب ٣٥
مقام الامامة ٣٦
الغاية من ايجاد الخلق ٣٩
التعريف الحالي ٤١
التعريف المقالي ٤١
عجز العقل البشري عن التشريع ٤٥
منهجية الفلاسفة العرفانيين في الالهيات ٤٨
منهجية الشيخ الأوحد في العقائد ٥١
بعض الآراء التي خالف بها الشيخ الحكماء ٥٥
الوجود والماهية ٥٥
رأي الشيخ الأوحد في الوجود والماهية ٥٨
حل شبهة ٥٩
مخالفة الشيخ الحكماء في الوجودات الذهنية ٦٠
امتناع جعل الواجب تعالى قسيماً ٦٣
الخلاصة ٦٥
رأي الشيخ في ممتنع الوجود ٦٥
الاجتهاد في القول بشريك الباري ٦٤
أصالة الوجود الخارجي وانتزاعية الوجود الذهني ٦٧
مطابقة المفهوم المصداق ٦٩
صحة القضية الحملية ٦٩
رأي الشيخ الأوحد في الإرادة ٧٣

الصفات الذاتية ٧٣
الصفات الفعلية ٧٤
رأي الكتاب والسنة في الإرادة ٧٤
تقليد الشيخ أئمته في الإرادة ٧٦
رأي الشيخ الأوحد في علة العلل ٧٦
أقسام العلة ٧٨
بطلان كون الحق تعالى علة تامة أو ناقصة ٧٨
منهجية تلامذة الشيخ من بعده ٨١
المظلوم السيد كاظم الرشتي ٨٣
الميرزا حسن المشهور بوهر ٨٥
الملا محمد الممقاني ـــ حجة الاسلام ٨٦
الميرزا محمد باقر الأسكوئي ٨٦
الميرزا موسى الحائري الاحقاقي ٨٧
الميرزا علي الحائري الاحقاقي ٨٨
الميرزا حسن الحائري الاحقاقي ٨٩
انتحال لقب فرقة الشيخية ٩٢
دعوى الركنية واختلاق الكشفية ٩٥
اعتقاد السيد في التوحيد ٩٩
اعتقاد السيد في النبوة ١٠٠
اعتقاد السيد في الإمامة ١٠٣
اعتقاد السيد في المعاد ١٠٥

اعتقاد السيد في علماء الشيعة ١٠٥
نهج الشيخ وأتباعه نهج إمامي اثني عشري ١٠٧
انحراف البابية والبهائية عن الدين ١١٢
كفى تفرقة!! ١١٧
صرخة الى الوحدة والتكاتف ١١٩
...٨٧
.٨٧
..٨
...٨
...٨
...٨
...٨
.٧٨
....٨٨
..٨٩
...٩٢
....٩٥
...٩٩
...١٠٠
...١٠٣
...١٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخطاء المطبعية الواردة في كتاب (فكر ومنهج)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢	١	ابن عرب	ابن عربي
٢٤	٤	جرجا	جرجا
٢٧	١١ ، ١٢	لافرق بينها وبينها لأنهم عبادك وخلقك	لافرق بينك وبينها إلاأنهم عبادك وخلقك
٤٩	١	الداوي	الراوي
٥٦	٥	الفعل	الفصل
٧٥	١٠	العقل	الفعل
٩٤	١	مجلدين	مجدلين
٩٦	١٥	القارب	الغارب
١١٤	١٣	إن كثيراً من بعض الظن أثم	إن بعض الظن أثم